جمهورية العراق
رئاسة ديوان الوقف السني
دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية
قسم المناهج والتطوير

التاريخ الإسلامي
في العصر العباسي

الصف الخامس الاعدادي

تأليف

أ.د. عدنان علي الفراجي
أ.د. محمود تركي اللهيبي
أ.م. د. نور سعد محسن
د. خالد عبد الجبار شيت

الطبعة الثالثة
٢٠٢٠ م ١٤٤٢ هـ

لجنة التطوير والتنقيح

أ. د. عدنان علي الفراجي أ. د. محمود تركي اللهيبي

أ. د. محمد صالح السامرائي م. م. سناء نوري محمد

موفق محمد نجيب

المقدمة

الحمدالله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

فهذا الكتاب الموسوم (الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي) تم إعداده لأعزائنا الطلبة في الصفوف الخامسة الإعدادية للمدارس الإسلامية التابعة لديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية ، ركّزنا فيه على الجوانب التي نرى أنها جديرة بالاهتمام ، وهي بحسب الفصول الخمسة التي ضمّها الكتاب وكالآتي:

في الفصل الأول تناولنا نسب الأسرة العباسية ، والتعريف بقسم من رجالها الاوائل وكيف نشأت الدعوة لخلافتهم. وفي الفصل الثاني عرّفنا بالمشاهير من خلفاء بني العباس بعد قيام دولتهم ، وأهم الأحداث في عهودهم. وفي الفصل الثالث وقفنا على أبرز الدول التي استقلت فعلياً عن الخلافة العباسية وإن تبعتها أسمياً ، او تلك التي استقلت نهائياً واتخذت موقف العداء للخلافة العباسية. وفي الفصل الرابع اوضحنا الأثر السلبي للحركات الدينية والسياسية المناوئة للدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي. أما الفصل الخامس والأخير فقد خُصِّصَ للنظم الحضارية التي شهدتها الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي.

لقد أمتدَّ تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي قروناً طويلة حافلة بالأحداث التاريخية والإنجازات الحضارية ، نتمنى أن يكون هذا الكتاب بمادتهِ العلمية قد غطّى ما تحتاجه هذه المرحلة المهمة من تأريخ أمتنا ، كما نأمل أن يرفدنا الأخوة مدرّسو المادة والمشرفون بما يرونه مناسباً من ملاحظات ليتم الإفادة منها في الطبعات القادمة من شاء الله ، والله من وراء القصد ، وهو وليُّ التوفيق.

لجنة التأليف

الفصل الأول

العباسيون

نسبهم وأسرتهم ، ونشأة الدعوة لخلافتهم

المبحث الأول: العباسيون ، نسبهم وأسرتهم

المبحث الثاني: نشأة الدعوة لخلافتهم

المبحث الثالث: مراحل الدعوة وإعلان الثورة

١ . المرحلة السرّية من الدعوة

٢ . المرحلة العلنية من الدعوة وإعلان الثورة

٣ . معركة الزاب ونهاية الدولة الأموية

نواتج التعلم

بعد الانتهاء من الفصل الأول، يكون الطالب قادراً على أن:

١) يبيّن نسب الاسرة العباسية.

٢) يعدد رجالات الاسرة العباسية.

٣) يوضح خطة محمد بن علي لإنجاح الدعوة العباسية.

٤) يشرح المرحلة السرية للدعوة العباسية.

٥) يعرف أسد بن عبد الله القسري.

٦) يعلل اعتبار عام ١٢٥ هـ نقطة تحول في مسار الدعوة العباسية.

٧) يعلل عدم نجدة والي العراق لوالي خراسان نصر بن سيار.

٨) يعرف أبي سلمة الخلال.

٩) يشرح المرحلة العلنية للدعوة العباسية.

١٠) يوضح نهاية الدولة الأموية بشكل رسمي من خلال أحداث معركة الزاب.

الفصل الأول

المبحث الأول

العباسيون، نسبهم وأسرتهم

يعود نسب الأسرة العباسية إلى العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) ، وهو عم النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وكان من رجال مكة البارزين وكانت له مكانة خاصة عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك ما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجِلُّ الْعَبَّاسَ إِجْلَالَ الْوَلَدِ وَالِدَهُ خَاصَّةً خَصَّ اللَّهُ الْعَبَّاسَ بِهَا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ».

تولى أمر سقاية الحجيج قبل الإسلام، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم عليها، وفي الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: اسْتَأْذَنَ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبِيتَ بِمَكَّةَ لَيَالِيَ مِنًى، مِنْ أَجْلِ سِقَايَتِهِ «فَأَذِنَ لَهُ»، وكانت له وقفات مشرفة مع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، منها:

- حضوره معه في بيعة العقبة الثانية، فقد استوثق العباس فيها للنبي محمد صلى الله عليه وسلم عندما تكلم مع الأنصار.
- كان يوصل اخبار قريش وأهل مكة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين وهم في المدينة المنورة

وخاصة تحركاتهم العسكرية ، كما حصل قبيل معركة بدر ومعركة أحد.

توفي العباس رضي الله عنه يَوْمَ الْجُمُعَةِ لأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاثِينَ فِي خِلافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً. وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ فِي مَقْبَرَةِ بَنِي هَاشِمٍ.

ومن رجال هذه الأسرة البارزين ممن ينتسب إليهم خلفاء بني العباس:

عبد الله بن العباس:

وهو أبرز أبناء العباس بن عبد المطلب والذي ينحدر منه نسب الخلفاء العباسيين ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبد الله بن العباس ابن ثلاث عشرة سنة وقيل: ابن خمس عشرة سنة. وقد خصه رسول الله بدعوة، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "ضَمَّنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى صَدْرِهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ".

وكان يقال لعبد الله بن العباس حبر هذه الأمّة لسعة علمه ومعرفته. فعن عطاء: "ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثر فقهاء وأعظم خشية، إن أصحاب الفقه عنده وأصحاب القرآن عنده وأصحاب الشعر عنده يصدرهم كلهم من واد واسع". وكانت له منزلة كبيرة عند الخلفاء الراشدين، فقد كان الخليفة عمر بن الخطاب يقربه في مجلسه لمكانته العلمية، ووقف مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي

الله عنه) لما خرج عليه الخوارج، توفي عبد الله بن عباس بالطائف سنة ٦٨ من الهجرة.

علي بن عبد الله بن العباس:

كنيته (أبو محمد)، ولد في شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، وهو أصغر ولد أبيه سنا. ووصف بأنه أجمل قرشي على وجه الأرض وأوسمهم وأكثرهم صلاة. وكان يقال له السجاد لعبادته وفضله.

قدم الشام وسكن مدينة دمشق أول الأمر ثم سكن الشراة، والشراة: بفتح الشين والراء، موضع بالشام وهو من إقليم البلقاء (الأردن) وفي بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة – بضم الحاء وفتح الميم وسكون الياء – وهذه كانت لعلي المذكور وأولاده في أيام بني أمية، وفيها ولد السفاح والمنصور وبها تربيا ومنها انتقلا إلى الكوفة.

وذكر الطبري في تاريخه أن الوليد بن عبد الملك بن مروان أخرج علي بن عبد الله بن العباس من دمشق وأنزله الحميمة في سنة خمس وتسعين للهجرة، ولم يزل ولده بها إلى أن زالت دولة بني أمية وولد له بها نيفٌ وعشرون ولداً ذكرا. توفي علي بن عبد الله سنة ١١٨ من الهجرة على الأرجح.

محمد بن علي بن عبد الله بن عباس:

من علماء بني هاشم ، كان أنبه أخوته وأفضلهم وهو الذي رسّخ قواعد الدعوة لبني العباس وشيّد أركانها ، ورفع بنيانها. كان عابداً زاهداً وله علمٌ وفقه ورواية ، مجاهداً يغزو الصائفة هو وعدة من اخوته ومواليه ، قوي الحجة ، بليغ القول ، وله علاقات جيدة مع أقاربه من أبناء عمومته من البيت العلوي، وعلاقته الظاهرة مع الدولة الأموية لم تشبها شائبة. وما سنتحدث عنه لاحقا من الدعوة السرية لبني العباس تحت مسمى (الرضا لآل محمد) إنما كان بإشرافه وتدبيره، كانت وفاته سنة ١٢٥من الهجرة.

المبحث الثاني

نشأة الدعوة لخلافتهم

الدولة العباسية لم تقم فجأة ، ولم تأت من فراغ ، بل سبقتها مقدمات وإعدادات، وفي هذا المبحث سنتحدث بإيجاز عن الخطوات التمهيدية التي قام بها محمد بن علي العباسي لتهيئة الدعوة لخلافتهم.

لم يكن ثمة خلاف بين الأمويين وبني العباس في بداية الحكم الأموي ولكن الخلاف السياسي كان مع العلويين منذ ثورة الحسين (رضي الله عنه)، ثم ساد شيء من الهدوء في العلاقة بين الأسر القرشية الثلاث البارزة (العلوية ، والعباسية ، والأموية) بعد ذلك.

كان الوليد بن عبد الملك قد اقطع (الحميمة) بالقرب من الشوبك من إقليم البلقاء في الأردن لعلي بن عبد الله بن عباس، فأقام بها واستقر فيها، كما سبقت الإشارة.

وعندما زار أبو هاشم عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب، الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك أكرمه الخليفة غاية الإكرام ، وقدم له الأعطيات ، ثم انصرف أبو هاشم متوجها إلى المدينة المنورة ، وأثناء الطريق شعر بالمرض وأحس بدنو أجله ، وحدث ذلك لمرافقيه ، فقال بعضهم لعل سليمان قد دس لك السم ، فتوهم بذلك كأي مريض ، فانتشر الخبر ، وأصبح الشك المزعوم يقينا ، فتأثر

أبو هاشم من بني أمية ، وعرج على" الحميمة " ونقل ذلك لابن عمه محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، وطلب منه أن يعمل ضد بني أمية ، والواقع لو صحت هذه الرواية بوضع السم لأبي هاشم لقضي عليه بشكل سريع ، وعادة الملوك أن تضع السم الزعاف للقضاء على المنافسين أو الخصوم السياسيين ، ولكن أبا هاشم عاش إلى ما بعد وفاة الخليفة سليمان نفسه بما يزيد على الشهرين ، وذلك عام ٩٩ من الهجرة .

ثم إن الرواة وأصحاب الأغراض زعموا أن أبا هاشم أعطى محمد بن علي العباسي أسرار الدعوة وتنظيماتها، في الوقت الذي لم يكن له أي تنظيم.

وواقع الحال يشير إلى أن محمد بن علي العباسي كان رجلا طموحا، ولم تكن زيارة أبي هاشم عبد الله بن محمد العلوي له في الحميمة وتذمر الأخير من الأمويين إلا عاملا مشجعا له على المضي في مشروعه، فضلا عن تأييد رجال أسرته له، فوالده علي بن عبدا لله بن عباس شجعه على المضي في هذه الطريق، واستمر على ذلك حتى وفاته عام ١١٨من الهجرة. وكان له أكثر من عشرين أخاً يدعمونه إضافة إلى أبنائه فكانوا يشكلون قوةً دافعة له، كل هذا وغيره جعل محمد بن علي العباسي يحمل على كاهله فكرة الدعوة

لبني العباس، وبدأ يعمل على تنفيذها بناءاً على خطة وضعها للوصول الى هدفه وتستند إلى أمرين أساسيين:

الأول: اختيار المكان المناسب للدعوة.

الثاني: كسب المزيد من الأنصار والمؤيدين لها.

فأما بالنسبة للأمر الأول فقد رأى أن تكون الدعوة بعيدة عن" الحُميمة " لتكون بعيدة عن أنظار الامويين، وقد وقع اختياره على مدينتين، الأولى الكوفة لكثرة من فيها من الناقمين على الحكم الأموي ممن خرج في ثورات سابقة، والثانية خراسان، وكان فيها صراع قبلي بين المضرية (القيسية) واليمانية من القبائل العربية، يمكن أن يستثمر لصالح الدعوة الجديدة، وفيها أيضا عناصر ناقمة من الموالي من غير العرب يمكن كسب ولائهم، فضلا عن بعد هذه المدينة جغرافيا عن مركز الحكم الأموي في دمشق.

وأما بالنسبة للأمر الثاني: وهو كسب المزيد من المؤيدين والأنصار، فقد اتخذ لتحقيقه أسباباً عدة منها إبقاء اسم الأمام المرشح مجهولاً كي يضمن استمالة كل من له هوى في بني هاشم وآل البيت وخاصة الموالين للعلويين، ومنها إطلاق الوعود بتحسين الأوضاع المادية وهكذا استمال الشباب العاطلين عن العمل أو من ذوي الدخل المتدني، كما لقيت فكرة تغيير نظام الحكم الأموي هوى عند ذوي الطموحات السياسية ممن حرموا من المناصب أو الزعامات في ظل

الحكم الأموي. وكان للعنصر الديني الذي غلفت به الدعوة تأثير قوي في النفوس من خلال تسليم قيادة المسلمين لشخصية من أقارب الرسول وآل بيته.

المبحث الثالث
مراحل الدعوة وإعلان الثورة

مرت الدعوة العباسية بمراحل يمكننا أن نجملها في ثلاثٍ أساسية هي: المرحلة السرية ، والمرحلة العلنية ، ومرحلة الحرب والمواجهة العسكرية

١ – المرحلة السرية من الدعوة:

لم يطل الوقت في تنفيذ الخطة التي رتبها محمد بن علي العباسي، وبعد اتصالات دقيقة وسرية مع من يثق بهم، أرسل في سنة ١٠٠ من الهجرة، ميسرة العبدي إلى الكوفة ليكون داعي الدعاة فيها، وأرسل إلى خراسان أبا عكرمة السراج (أبا محمد الصادق)، ومحمد بن خنيس وحيان العطار، وأمرهم بالعمل والبدء بالدعوة، فحقق هؤلاء جزءاً من النجاح وكتبوا بذلك إلى ميسرة العبدي (داعي الدعاة) بالكوفة، الذي قام بدوره بإرسال ما تحقق إلى الحميمة.

الخطوة التالية والمهمة أن أبا محمد الصادق رتب هيكلية الدعوة في خراسان فاختار مجلساً للنقباء يضم اثني عشر نقيبا على رأسهم سليمان بن كثير الخزاعي ، ويرتبط بكل نقيب سبعون من العاملين في حقل الدعوة ، وبعد أن

وافق الإمام محمد بن علي العباسي على هذا التشكيل كتب لهم كتابا يضم تعليمات وتوجيهات يسيرون عليها ويلاحظ أن جل أعضاء مجلس النقباء كانوا من قبائل عربية تسكن خراسان ، وهذا يفند ما يردده قسم ممن يكتب في التاريخ العباسي بأن دعوتهم ودولتهم كانت فارسية ، متجاهلا الثقل الذي شكلته القبائل العربية في خراسان آنذاك .

بدأت الدعوة العباسية تعمل بهدوء وحذر شديدين ، وقد أوصى محمد بن علي الدعاة أن يقضوا حوائجهم بالكتمان، وأن يكون ظاهر عملهم التجارة وغايتهم الدعوة إلى آل البيت قائلاً : "انطلقوا أيها النفر فادعوا الناس في رفق وستر، فإني أرجو أن يتم الله أمركم، ويظهر دعوتكم ولا قوة إلا بالله ثم قال لهم : فإن سئلتم عن اسمي فقولوا نحن قد أمرنا بكتمان اسم إمامنا "، وأرسل محمد بن علي دعاته في الآفاق يدعون الناس سراً، ظاهر أمرهم الاشتغال بالتجارة وباطنه الدعوة للرضا من آل البيت، واصفين إياه بالتقى والصلاح والزهد والورع، وأن غايته تطبيق شرع الله، شعاره العدل والمساواة، ويحق الحق ويبطل الباطل، وسيملأ الدنيا صلاحاً وعدلاً. فكان تنقل الدعاة وعملهم تحت غطاء التجارة أحياناً ، وفي أحيان أخرى كانوا يتنقلون أو ينقلون الأخبار مع تحرك الحجيج.

إلا أن ذلك لا يعني عدم ذيوع أمرها ، وتعرّضها لانتكاسات عدة على يد بعض الولاة في خراسان في فترات مختلفة ، وأشدها على يد الوالي أسد بن عبد الله القسري في عام ١٠٧ هـ ، إذ قبض على رأس الدعاة هناك (أبي محمد الصادق) وعدد من أصحابه فقتلهم ، وتكرر الأمر عام ١٠٩ هـ ، وقد عُرِفَ عن هذا الوالي تعصبه لليمانية ، وبهذه العصبية كانت تنقل اليه أخبار بني العباس ودعاتهم.

وكذلك الحال حين تولى الجنيد بن عبد الرحمن ولاية خراسان عام ١١١ هـ إذ تمكّن من ملاحقة دعاة بني العباس هناك.

في عام ١١٨ هـ أُعيدَ أسد بن عبد الله والياً على خراسان فتابع عمله في ملاحقة دعاة العباسيين ، مما ألجأهم إلى السرية والكتمان واستبدال من عُرِفَ منهم لدى الوالي ، لذلك أقدم كبير الدعاة في الكوفة (بكير بن ماهان) إلى إرسال داعية جديد إلى خراسان وهو عمار بن يزيد ، الذي تسمى باسم (خُداش) ، فدعا الى إمامة محمد بن علي العباسي ، إلا أنه انحرف عن مسار الدعوة ومضمونها الإسلامي الصحيح وانتهى الأمر بقتله.

كان نصر بن سيّار آخر الولاة الأمويين على خراسان ، وقد كان هذا الوالي يميل الى القبائل المضرية ويقرّبهم ، وهذا سبّب تذمّر اليمانية مما دفع بدعاة العباسيين للتحرك

علـــيهم لاجتـــذابهم إلـــى صـــفوفهم غيـــر أن الأمـــور كانـــت تجـــري ببطء.

فـــي عـــام ١٢٥هـــ تـــوفي محمـــد بـــن علـــي العباســـي وأوصـــى مـــن بعـــده لابنـــه إبـــراهيم، وأمـــره أن يقـــوم بـــأمور الـــدعوة، ويعـــد هـــذا العـــام نقطـــة تحـــول فـــي مســـار الـــدعوة العباســـية، لأســـباب عـــدة مـــن بينها:

١- وفـــاة الخليفـــة هشـــام بـــن عبـــد الملـــك عـــام ١٢٥هـــ، ويعـــد آخـــر الخلفـــاء الأقويـــاء فـــي تـــاريخ الدولـــة الأمويـــة الـــذي شـــهد عهـــده ســـيطرة الدولـــة القويـــة علـــى ولاياتهـــا، إذ انقســـم البيـــت الأمـــوي – بعـــد وفاتـــه – علـــى نفســـه بســـبب الخـــلاف علـــى الســـلطة، وأصـــبح بعضـــهم يقاتـــل بعضـــاً، الأمـــر الـــذي ســـبب تـــذمر النـــاس مـــن هـــذه الحال وترقبوا التغيير.

٢- زيـــادة وتنـــامي العصـــبية القبليـــة وخاصـــة فـــي خراســـان مـــوطن الـــدعوة العباســـية الـــرئيس، وقـــد أشـــرنا إلـــى تعصـــب الـــوالي نصـــر بـــن ســـيار للقبائـــل المضـــرية وتقريبـــه لهـــم، ممـــا جعـــل القبائـــل اليمانيـــة – وهـــم الأكثـــر هنـــاك – تناصـــبه العـــداء، لـــذا جـــاءت التوجيهـــات لـــدعاة العباســـيين أن يركـــزوا دعـــوتهم علـــى اليمانيـــة. خاصـــة أن جـــديع بـــن علـــي الكرمـــاني الـــذي عـــزل عـــن ولايـــة خراســـان، قـــد ســـجن فـــي ولايـــة خلفـــه نصـــر بـــن ســـيار، فـــتمكن مـــن الفـــرار مـــن ســـجنه وإعـــلان الثـــورة علـــى الـــوالي الجديـــد وجـــرت بـــين

الطـــرفين حـــروب ومواجهـــات كثيـــرة اســـتمرت إلـــى ســـنة ١٢٩هـــ، انتهت بمقتل جديع الكرماني.

٣- تـــأثر الأحـــوال الاقتصـــادية والاجتماعيـــة فـــي عمـــوم الدولـــة وبلـــدان المشـــرق خاصـــة بالاضـــطرابات والنزاعـــات والحـــروب، فتضـــررت الزراعـــة، وانتقلـــت أعـــداد كبيـــرة مـــن العمـــال والفلاحـــين إلـــى المـــدن أمـــلا فـــي عـــيش أفضـــل، وكـــان هـــؤلاء مـــن الكثـــرة بمكـــان جعلـــتهم يســـخطون علـــى الأوضـــاع القائمـــة وينضـــمون إلـــى الـــدعوات المناهضـــة للحكـــم الأمـــوي خاصـــة الـــدعوة لشـــخص مـــن آل البيت.

٤- إن الحركـــات التـــي قامـــت فـــي هـــذا الوقـــت كـــان لهـــا الأثـــر الســـيء فـــي الأمـــويين، مثـــل حركـــة الحـــارث بـــن ســـريج، وجـــديع بـــن علـــي الكرمـــاني، وحركـــة زيـــد بـــن علـــي زيـــن العابـــدين وولـــده يحيـــى، وغيرهم.

٥- إن الإشـــاعات الكثيـــرة التـــي روجهـــا خصـــوم الأمـــويين تركـــت أثرهـــا فـــي بـــث كـــراهيتهم، والانضـــمام إلـــى صـــفوف الحركـــات التـــي قامـــت ضـــدهم، فضـــلا عـــن ذلـــك فـــإن غالـــب النـــاس يكرهـــون صاحب السلطة بسبب المصالح المستجدة في حياتهم.

بعـــد أن آل أمـــر الـــدعوة العباســـية إلـــى إبـــراهيم بـــن محمـــد بـــن علـــي الـــذي عـــرف فـــي كتابـــات المـــؤرخين ب (إبـــراهيم الإمـــام) عـــام ١٢٥هـــ، ارتـــأى أن يتخـــذ شخصـــا يكـــون وســـيطا بـــين الحميمـــة وخراســـان ينقـــل الأوامـــر مباشـــرة مـــن غيـــر الرجـــوع إلـــى كبيـــر الـــدعاة

بالكوفة، وقد توصل إلى أن خير من يقوم بهذا الدور هو: أبو مسلم الخراساني، الذي سبق أن انخرط في الدعوة العباسية، وكان شابا طموحا توسم فيه إبراهيم الإمام علامات الجد والنشاط، وإمكانية تحمله مهام العمل والدعوة.

في عام ١٢٨هـ بعث إبراهيم بن محمد العباسي أبا مسلم إلى خراسان وكتب معه كتاباً إلى أتباعه يأمرهم بالسمع والطاعة لأبي مسلم، إلا أنه لقي معارضة من سليمان بن كثير رئيس النقباء، فلما كان موسم الحج والتقى أبو مسلم بإبراهيم الإمام شكا له ذلك، فكتب له كتابا آخر شكك العديد من المؤرخين بتفاصيله لأنه يأمره فيه بقتل كل من يشك في عدم ولائه للدعوة، على الرغم مما فيه من توجيه بعدم مخالفة سليمان بن كثير.

٢- المرحلة العلنية من الدعوة وإعلان الثورة:

في عام ١٢٩ هـ وصل كتاب من إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم يأمره فيه بإظهار الدعوة فبعث بالدعاة إلى مدن خراسان وطلب منهم التهيؤ والاستعداد ، وتم تحديد مدينة مرو لانطلاق الثورة ، وقدمها أبو مسلم في أول يوم من شهر رمضان سنة ١٢٩ هـ ، وحين دخل عيد الفطر من العام ذاته أظهر ابو مسلم الدعوة.

وصلت أخبار هذا التجمّع وإعلان الثورة إلى نصر بن سيار والي خراسان فبعث جيشاً لمواجهتها ولكن النصر كان حليف أنصار العباسيين وتبعه نصر ثان وثالث وتمت السيطرة للعباسيين على مرو الروذ وهراة.

لم تكن قوة الوالي الأموي على خراسان نصر بن سيار بمستوى الأحداث، فقد كان يخوض صراعاً مع قوتين منافستين أخريين هي: قوة جديع الكرماني، وقوة الخوارج بزعامة شيبان بن سلمة الحروري، وقد حاول استمالة الكرماني ومن معه من اليمانية وتمكن من إقناعه في الانضمام اليه لمواجهة الخطر الجديد، ولكن نصراً لم يكمل هذا المشروع إذ تسرع فأرسل قوة قتلت الكرماني، مما تسبب في انضمام أنصار الكرماني وولده إلى أبي مسلم وصاروا ضداً على نصر بن سيار.

وعلى الرغم من استنجاد الوالي نصر بن سيّار بالخليفة مروان بن محمد وبوالي العراق يزيد بن عمر ، إلا أنهما لم يمداه بشيء لانشغالهما هما الآخران بمشاكل متعددة وخطيرة ، وفي هذه الأثناء انكشف أمر الإمام إبراهيم وألقت السلطات الأموية القبض عليه وأودع السجن ، إلا أن ذلك لم يؤثر في سير العمليات العسكرية ، فقد تمكّن أنصار العباسيين من السيطرة على مناطق واسعة في المشرق.

حاول نصر بن سيّار تجميع قواته ومواجهة قوة عباسية يقودها قحطبة بن شبيب الطائي إلا أن النصر كان

حليف الجيش العباسي رغم المدد الذي ارسله والي العراق لنجدة نصر ، واستمر تقدّم أنصار العباسيين حتى سيطروا على قومس والري ثم همدان ونهاوند فأصبح الطريق إلى العراق مفتوحاً امامهم.

وفي نفس الوقت خرج والي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة على رأس جيش كبير يقوده معن بن زائدة لمواجهة التقدّم العباسي ، وقُتِلَ قحطبة في هذه المواجهة إلا ان الجيش العباسي بقيادة الحسن بن قحطبة انتصر على أبن هبيرة الذي انسحب إلى واسط وتحصّن فيها.

أما في الكوفة فقد تولّى أبو سلمة الخلّال منصب داعي الدعاة بعد وفاة بكير بن ماهان عام ١٢٧ هـ ، كما عهد إبراهيم الإمام بالأمر من بعده لأخيه عبدالله بن محمد بن علي (السفاح) ، فقدم الأخير مع أفراد الأسرة العباسية إلى الكوفة فلما وصلوها أسكنهم أبو سلمة في بيت وكتم أمرهم ، ولما وصلت الأنباء بوفاة إبراهيم الإمام في صفر من عام ١٣٢هـ في سجنه الذي أُودع فيه بدمشق ، أراد أبو سلمة الخلال سراً أن يحول الخلافة إلى آل علي إلا أن الذين اتصل بهم لم يوافقوه الرأي ، وفي هذه الأثناء كانت قوات العباسيين قد دخلت الكوفة ، وعرف من بقي من النقباء ومن معهم من الأمراء وقادة الجيش مكان أبي العباس وإخوته وعمومته ،

فـــدخلوا عليـــه وســـلموا عليـــه بالخلافـــة ، وذلـــك فـــي أوائـــل عـــام ١٣٢هـ.

ثـــم خـــرج الســـفاح مـــن مكانـــه إلـــى قصـــر الإمـــارة بالكوفـــة ولمـــا حانـــت الجمعـــة خطـــب بالنـــاس وأخـــذ مـــنهم البيعـــة واتخـــذ مـــن مدينة الهاشمية بظاهر الكوفة مقراً له.

٣- معركة الزاب ونهاية الدولة الأموية:

وجـــه أبـــو العبـــاس الســـفاح جيشـــاً كبيـــراً بقيـــادة عمـــه عبـــد الله بـــن علـــي العباســـي ومعـــه عـــدد مـــن القـــادة البـــارزين ، لملاقـــاة جـيش مـــروان بـــن محمـــد آخـــر خلفـــاء الأمـــويين ،الـــذي عســـكر عنـــد الـــزاب الكبيـــر للتوجـــه لقتـــال الجيـــوش العباســـية ، التقـــى الفريقـــان يـــوم ١١ جمـــادى الآخـــرة ١٣٢هـــ، فانكســـر جـــيش مـــروان وانســـحب علـــى أثـــره إلـــى حـــران ولحقـــه عبـــد الله بـــن علـــي ، ومنهـــا انســـحب إلـــى قنســـرين فحمـــص فدمشـــق وجـــيش العباســـيين يلاحقـــه فتحصـــن مـــروان فـــي دمشـــق ، ولكنهـــا لـــم تثبـــت بوجـــه الجـــيش العباســـي ، إذ تمكنـــوا مـــن دخولهـــا ، وهـــرب مـــروان مـــن الشـــام باتجـــاه مصـــر وجـــاء الأمـــر مـــن الخليفـــة أبـــي العبـــاس الســـفاح أن يتـــولى عبـــد الله بـــن علـــي أمـــر الشـــام ، ويوكـــل ملاحقـــة مـــروان ومـــن معـــه إلـــى عـــم الخليفـــة صـــالح بـــن علـــي العباســـي ، الـــذي تابعـــه إلـــى أن وجـــده فـــي قرية (بوصير) متخفياً في كنيسة فقتله هناك.

عـــاد صـــالح بـــن علـــي إلـــى الشـــام واســـتخلف علـــى مصـــر أبـــا عـــون بـــن أبـــي يزيـــد الـــذي كـــان أحـــد قـــادة الجـــيش الـــذي انتصـــر

علـــى مـــروان فـــي الـــزاب، وبهـــذا تكـــون الدولـــة الأمويـــة قـــد انتهـــى وجودهـــا ونفوذهـــا فـــي ســـائر أرجـــاء البلـــدان الإســـلامية عـــدا الأنـــدلس لاحقـــاً. ولـــم تبـــق مـــن مقاومـــة تـــذكر إلا مـــا كـــان مـــن أمـــر واســـط التـــي لا يـــزال ابـــن هبيـــرة متحصـــنا فيهـــا، يحاصـــره الحســـن بـــن قحطبـــة، فأرســـل أبـــو العبـــاس قـــوة كبيـــرة بقيـــادة أخيـــه أبـــي جعفـــر المنصـــور تمكـــن مـــع القـــوات الســـابقة مـــن دخـــول واســـط والقضـــاء علـــى واليهـــا يزيـــد بـــن عمـــر بـــن هبيـــرة، فاســـتتب الأمـــر لبنـــي العباس.

أسئلة الفصل الأول

س١/ املأ الفراغات الآتية بما يناسبها:

١. كان ..... آخر الولاة الامويين على خراسان.

٢. قام الوالي ..... عام ١٠٧ هـ بالقبض على راس الدعاة العباسيين.

٣. في عام ١٢٥ هـ توفي ..... وأوصى من بعده لـ .....

٤. تولى ..... منصب داعي الدعاة في الكوفة، بعد وفاة بكير بن ماهان عام ..... هـ.

س٢/ اختر الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

١. نشأت الخلافة العباسية بناءاً على:

مراحل مرت بها – حرب أهلية – خلاف مع الحكم الاموي

٢. كيف دعا الدعاة العباسيون للخلافة:

–بالأعلان – بالكتمان – أمر آخر

٣. بدأت المرحلة العلنية للدعوة العباسية سنة ١٢٩ هـ بأمر من:

– نصر بن سيار – جديع الكرماني – إبراهيم الإمام

س٣/ أجب عما يأتي بشكل مفصل:

١. وضح أصول نسب الاسرة العباسية.

٢. ما الدور الذي قام به محمد بن علي العباسي في تأسيس الخلافة؟

٣. من الذي قام بملاحقة الدعاة العباسيين، وماذا فعل لمحاولة إفشال عملهم؟

٤. اذكر اهم أسباب التحول في مسار الدعوة العباسية عام ١٢٥ هـ.

٥. تحدث عن معركة الزاب ونهاية الدولة الاموية.

الفصل الثاني

نماذج من خلفاء بني العباس

(١٣٢-٦٥٦هـ /٧٤٩-١٢٥٨م)

المبحث الأول: العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٤٧ هـ)

المبحث الثاني: عصر السيطرة التركية (٢٤٧ – ٣٣٤ هـ)

المبحث الثالث: عصر السيطرة البويهية (٣٣٤ – ٤٤٧ هـ)

المبحث الرابع: عصر السيطرة السلجوقية (٤٤٧ – ٥٩٠ هـ)

المبحث الخامس: حقبة انتعاش الخلافة (٥٩٠ – ٦٥٦ هـ)

نواتج التعلم

بعد انتهاء الفصل الثاني، يكون الطالب قادراً على ان:

١. يعدد الأسس التي ارتكزت عليها خطبة الخليفة ابي العباس السفاح.

٢. يعدد الاعمال الداخلية للخليفة السفاح.

٣. يبين مزايا وصفات الخليفة أبو جعفر المنصور التي مكنته من مجابهة المشاكل وتوطيد اركان حكمه.

٤. يبين اهم اعمال الخليفة أبو جعفر المنصور.

٥. يوضح كيفية تخلص المنصور من ابي مسلم الخراساني.

٦. يعرف الخليفة هارون الرشيد.

٧. يعرف بيت الحكمة.

٨. يعدد اعمال هارون الرشيد في خلافته.

٩. يعلل اعتبار الرشيد من أبرز الخلفاء العباسيين.

١٠. يعرف الخليفة المأمون.

١١. يوضح تبني المأمون لبدعة خلق القرآن.

١٢. يعرف الخليفة المعتصم.

١٣. يعلل أنشاء مدينة سامراء كعاصمة من قبل المعتصم.

١٤. يعرف الخليفة المتوكل على الله.

١٥. يوضح تسلط العنصر التركي على الخلفاء العباسيين.

١٦. يعرف الخليفة المستعين بالله بن المعتصم.

١٧. يعلل عدم استقرار مدة حكم الخليفة المقتدر بالله.

١٨. يشرح المقصود بمصطلح (أمرة الأُمراء)

١٩. يعلل انقطاع الحج من بغداد في أيام الراضي.

٢٠. يوضح كيف كانت نهاية الخليفة المستكفي بالله.

٢١. يبين من هم بنو بويه.

٢٢. يبين وضع الخلفاء العباسيين في عصر السيطرة البويهية.

٢٣. يعلل طلب الخليفة القائم من طغرل بك السلجوقي القدوم الى بغداد.

٢٤. يبين نوع العلاقة التي سادت بين الخلفاء العباسيين والسلاجقة.

٢٥. يوضح أصل السلاجقة.

٢٦. يعرف الخليفة المقتدي بأمر الله.

٢٧. يبين أخطر الاحداث التاريخية في أيام المستظهر بالله.

٢٨. يعرف الخليفة الناصر لدين الله.

٢٩. يعرف الخليفة المستنصر بالله.

٣٠. يشرح خيانة ابن العلقمي ونتائجها.

٣١. يبين نهاية الخليفة المستعصم بالله.

المبحث الأول

العصر العباسي الأول – القوة والنفوذ

(١٣٢ – ٢٤٧ هـ)

الخليفة عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح

(١٣٢-١٣٦هـ)

خرج أبو العباس إلى المسجد في الكوفة تصحبه ثلةٌ من الجند من ألفي فارس إذ لم يكن واثقاً من تأييد الكوفيين. وهناك كانت البيعة العامة.

تختلف المصادر في تعيين تاريخ البيعة. والمرجح أنها كانت في ربيع الأول سنة ١٣٢هـ ، واعتلى أبو العباس المنبر، وجلس عمه داوود بن علي درجةً دونه، فخطب الخليفة قائلاً:

"الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمةً وشرّفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوّام به والذابين عنه والناصرين له.. وخصنا برحم رسول الله وقرابته.. وأنبتنا من شجرته.. ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم فاستشهد بقوله تعالى:

﴿ ...إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٣، وقوله تعالى:

﴿...قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الشورى: ٢٣.

فأعلمهم جلَّ ثناؤه فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا.. بنا هدى الناس بعد ضلالتهم ونصرهم جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق ودحض بنا الباطل وأصلح بنا منهم ما كان فاسدا.. فتمم الله ذلك منةً ومنحةً لمحمد صلى الله عليه وسلم فلما قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعده أصحابه وأمرهم

شورى فحووا مواريث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها.. ثم وثب بنو حربٍ وبنو مروان فابتزوها وتداولوها بينهم فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتنا وولى نصرنا.. ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض". ثم قال:

"يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا.. أنتم الذين لم يتغيروا عن ذلك ولم يثنكم من ذلك تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وأتاكم الله بدولتنا فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا. وقد زدتكم في أُعطياتكم مائة درهم فاستعدوا، فانا السفاح المبيح والثائر المبير".

وهكذا بيّن العباسيون الأسس التي يستندون إليها، وأعلنوا للناس سياستهم ، ويلاحظ من مضمون الخطبتين ما يأتي:

١. أن أبا العباس في خطابه هذا افتخر بكونه "ثائراً" أي خارجاً على الظلم وقالباً للنظام السابق.

٢. أن العباسيين قاموا بالمطالبة بحق شرعي لهم جاءهم من قرابتهم من الرسول ولم يغفلوا الرعية بل فكروا في حقوقها المهضومة. وان الله نصر المظلوم المستضعف بهم وفي ذلك إشارةٌ إلى أهل العراق وخراسان.

٣. أنهم جاؤوا لإحياء سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيعملون بالكتاب والسنة.

٤. مثلوا انتصارهم كانتصارٍ للعراقيين على أهل الشام، فأغروا أهل الكوفة بزيادة العطاء وبالوعود الخلابة كي يحصلوا على تأييدهم. ثم إن روح الدعاية قوية في الخطبتين، حتى قال داوود بن علي "وأعلموا أن هذا الأمر (أي الخلافة) فينا وليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم".

بويع أبو العباس، وكانت مهمته شاقة، فمروان وجيوشه في الشام، وابن هبيرة مع جيشه القوي في واسط، ومركزه ضعيف في الكوفة ووزيره الخلاّل لا يعتمد عليه. ولكن أبا العباس أظهر مقدرةً فائقةً ووضع أسس الدولة العباسية.

الأعمال الداخلية للخليفة أبي العباس السفاح

١- اهتم أبو العباس بالجبهة الشمالية، إذ أرسل جنوده في الكوفة لمساعدة قائده (أبي العون) الذي كان يقاتل الأمويين عند شهرزور ، فكان النصر للجيش العباسي.

وفي سنة ١٣٢ هـ التقى الجيشان الأموي والعباسي على نهر الزاب الكبير ودارت المعركة الحاسمة التي عرفت باسم النهر وانتهت بانتصار العباسيين.

٢- تخلّص أبو العباس من خطر الأمويين العسكري فكان عليه أن يتخلص من بقية منافسيه، فطارد من بقي من بني أمية وكان ساعداه في ذلك عبد الله بن علي في الشام وداود بن علي في الحجاز، فقتل عبد الله كل من ظفر به منهم في دمشق وارتكب أنواع الفظائع حتى نبش القبور وقتل حوالي ثمانين من رؤساء بني أمية عند نهر أبي فطرس (بين فلسطين والأردن) وبعد ان وعدهم بالعفو والصلات.

٣- ثم تخلص أبو العباس من الخلاّل، وكانت محاولة أبي سلمة في نقل الخلافة إلى ولد علي السبب الأول لمصرعه.

٤- أما علاقة الخليفة بأبي مسلم فهي أن أبا العباس كان يخاف سلطانه وحب أهل خراسان له لأنه لم يكن والياً فحسب وإنما كان زعيماً دينياً

ومنقذاً بنظر بعض الخراسانيين وكان أبو مسلم فوق هذا يتدخل في شؤون الدولة، فلم يكن أمام أبي العباس إلا إتباع الحيلة للتخلص منه غير أنه لم ينجح في مسعاه هذا فنصحه اخوه أبو جعفر سنة ١٣٣ هـ بقتله ، ألا أن أبا العباس لم يجرؤ على فعلها حذراً من الخراسانيين واستمر الحال هكذا حتى وفاة أبي العباس سنة ١٣٦ هـ ليترك إنجاز هذه المهمة الصعبة لأخيه أبي جعفر.

الخليفة عبد الله بن محمد ابو جعفر المنصور

(١٣٦-١٥٨هـ)

بويع للمنصور بالخلافة والدولة لا تزال مضطربة، لم تتوطد أركانها ولم يستقر حكمها بعد، لكنه استطاع أن يثبت أركانها بمقدرته النادرة. وبفضل امتداد حكمه لمدة تقرب من اثنتين وعشرين سنة.

الصفات الشخصية لأبي جعفر المنصور:

وقد عرك المنصور وجرب قبل الخلافة، فقد لاقى من المصاعب في شبابه ما جعله يعتاد حياة الخشونة والتعب، ثم كان مشاور أبي العباس وساعده الأيمن فحارب ابن هبيرة وولي أرمينية وأذربيجان والجزيرة واشتغل بالإدارة والسياسة قبل مجيئه إلى الحكم.

ويذكر المؤرخون مزاياه فيقولون "كان من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وعلمائهم وذوي الآراء الصائبة فيهم والتدابير السديدة، وقوراً شديد الوقار، حسن الخلق في الخلوة من أشد الناس احتمالاً لما يكون من عبثٍ أو مزاح، فإذا لبس ثيابه وخرج إلى المجلس تغير لونه واحمرت عيناه وانقلبت جميع أوصافه".

ونستخلص من هذا أن المنصور كان مجرباً حازماً وقوراً ظريفاً في مجالسه الخاصة، شديد الدهاء مثقفاً كثير الحذر يتحاشى اللذائذ، مهتماً بإدارة الدولة، مدبراً في المال، قوي الإرادة.

المشاكل الداخلية لدى تولّي المنصور الخلافة:

ولي المنصور والأخطار لا تزال محدقةً به فكان يدرك شجاعة وطموح عمه عبد الله بن علي والي الشام ومركزه الحصين في جيشه، إذ ما كاد يسمع بوفاة أبي العباس حتى خرج على المنصور فجمع جنده وطلب منهم أن يبايعوه وإدّعى أن أبا العباس جعل له العهد حين ارسله لمقاتلة مروان بن محمد ، فبايعه القواد والجند، وكان عامة جيشه من أهل الشام وهم يتمنون اضطراب أحوال العباسيين ويأملون أن ترجع السلطة إليهم. ولذلك تبعوا عبد الله على الرغم من كرههم الشديد لفظائعه.

فانتدب المنصور أبا مسلم لقتال عمه وهو يأمل ان يتخلص من أحدهما فدارت الحرب بين أبي مسلم وعبد الله حوالي خمسة شهور وانتهت بهرب عبد الله إلى أخيه سليمان والي البصرة واختفى عنده، ثم سلّمه سليمان سنة ١٣٩هـ إلى أبي جعفر بعد أن أخذ له أماناً فسجنه المنصور ثم مات في سجنه بعد تسع سنين.

وهناك العلويون من آل الحسن الذين كانوا يدعون الناس إلى بيعتهم. وقد عرف المنصور ذلك وأنكر تخلف محمد ذي النفس الزكية وإبراهيم عن المجيء إلى إبي العباس لمبايعته، فكانوا ينافسون بني العباس في الملك إضافة إلى أنهم كانوا ملجأ المعارضة، فحاول الخلال نقل الخلافة إليهم وراسلهم ابن هبيرة ليبايع لهم فكان لا بد للخليفة من ضربهم لتثبيت مركزه.

هذا إضافةً إلى حذره من عدم ولاء أهل الكوفة للعباسيين ومن كثرة تقلبهم. وتتضح مهارة المنصور ودهاؤه في ضربه لخصومه بعضهم ببعض،

وفي محاولته التخلص منهم بأقرب وأسلم وسيلة، فلم يتجنب استخدام المخادعة لأنها أقل كلفةً وأنجح من غيرها أحيانا.

وكان المنصور يخشى سلطان أبي مسلم ويسيء الظن به ، كما أن تصرفات أبي مسلم أسرعت بتقدم الأزمة. فعند وفاة أبي العباس أرسل أبو مسلم رسالةً يعزيه من غير أن يهنئه بالخلافة، فأنكر المنصور ذلك. ولما سار أبو مسلم لقتال عبد الله بن علي، أمر الخليفة الحسن بن قحطبة والي الجزيرة أن يلحق به ويراقب أعماله ففعل، وأخذ يرسل التقارير عن تصرفاته فأثار مخاوف المنصور وخاصةً عندما كتب إليه "أني قد ارتبت بأبي مسلم منذ قدمت عليه، أنه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرأه ثم يلوي شدقه ويسخر منه".

وزاد طغيان أبي مسلم بعد انتصاره على عبد الله بن علي ، ويظهر أن أبا مسلم "عزم على الخلاف"، فتوجه إلى خراسان فخاف المنصور من انفصاله وإذ ذاك يصعب إخضاعه. فحاول صرفه عن خراسان ، ولكن أبا مسلم استمر في سيره نحو خراسان وكان ذلك أول خلاف علني.

وأدرك أبو جعفر أن السيف لا يجدي فعمد إلى أساليب الدهاء ، ثم أسلوب التهديد وعندئذ اضطر إزاء هذه التهديدات إلى أن يتوجّه الى العراق ليلاقي حتفه، واخيراً قتل في اليوم الخامس من شعبان سنة ١٣٧ هـ.

وكانت التهم التي وجهها المنصور إلى أبي مسلم كما يظهر من الطبري هي: تقدمه على المنصور في طريق الحج وعدم انتظاره إياه في طريق الرجوع حينما جاءه خبر وفاة أبي العباس وقتله سليمان بن كثير الخزاعي بلا استشارة الخليفة وسليمان هذا من شيوخ الدعوة، مراوغته في

الخروج إلى خراسان، تقديمه لاسمه على اسم الخليفة في رسائله ، وانتسابه إلى سليط عبد الله بن العباس وتدخله في شؤون أبي العباس.

وهكذا تخلص المنصور من أعظم خطر مباشر، ويروى أنه قال بعد قتل أبي مسلم بأنه ما تم سلطانه وأمره إلا في ذلك اليوم.

بناء مدينة السلام (بغداد) :

اختتم أبو جعفر المنصور توطيده للحكم ببناء عاصمة للعباسيين ، فأسسوا لأنفسهم مدينة قرب الأنبار دعوها الهاشمية نسبة إلى جدهم الأعلى هاشم إلا أنها لم ترق لهم ، فأخذ أبو جعفر المنصور عن مكان يبني فيه مدينة جديدة تكون مقر حكمه وعاصمة ملكه ، فوجد بعد البحث الشديد مقراً لتلك المدينة .

اختار أبو جعفر المنصور موضعاً أسماها مدينة السلام في مكان يُدعى بـ(بغداد) أو (الزوراء) وهو يقع على الضفة الغربية من نهر دجلة في مكان تكون المسافة بين دجلة والفرات أقرب ماتكون ، فأقام عاصمته على الطرف الأيمن من دجلة .

إنّ موقع بغداد في وسط العراق يجعل اتصالها بمدنه سهلة سريعة وهي تقع في أرض خصبة ، الهواء فيها طيّب عليل ، أما من الناحية الحربية فالمدينة بعيدة عن متناول العدو إلا إذا اجتاز للوصول إليها نهراً .

هـذا مـن حيـث موقـع المدينـة ، أمـا مـن حيـث مخططهـا ففيـه يتجلـى ذكـاء كبيـر إذ جعـل المنصـور المدينـة مـدورة وأقـام فـي مركزهـا قصـر الخلافـة ، وإلـى جانبـه الجـامع الـذي سُـمّي بجـامع المنصـور ، ثـم جعـل الـدواوين حـول القصـر وخطـط حولهـا دور القـادة ورجـال الحاشـية وأمثـالهم ، ثـمّ أنشـأ حولهـا سـوراً مـدوراً مركـزه القصـر ، ثـمّ سـوراً مـدوراً آخـر وخصـص مـابين السـورين سـكن عامـة النـاس وأعمـالهم البسـيطة .ثـمّ أنشـأ المنصـور بعـد السـور الثـاني سـوراً ثالثـاً يفصـله عـن الثـاني ميـدان فسـيح ، وحفـر خـارج السـور الثالـث خنـدقاً حولـه ، ومـن أطـراف القصـر الأربعـة تبدأ شوارع تمتد فتخترق الأسوار الثلاثة بأبواب :

بـاب منهـا اسـمه بـاب الشـام ، والآخـر بـاب خراسـان فبـاب البصـرة ثـم بـاب الكوفـة ، ويسـتطيع الخليفـة مـن قصـره أن يراقـب هـذه الشـوارع جميعـاً وأن يعـرف مـايجري فيهـا .وقّـق أبـو جعفـر المنصـور كـل التوفيـق فـي وضـع مخطـط المدينـة فكـان مـن السهل الإشراف عليها ومعرفة مايجري فيها .

كانت وفاة الخليفة المنصور سنة ١٥٨هـ.

الخليفة هارون الرشيد

(١٧٠ – ١٩٣ هـ)

هو أبو جعفر هارون بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور ، خامس الخلفاء العباسيين ، ولد في مدينة الرّي (طهران الحالية) عام ١٤٩ هـ ، وتوفي في مدينة طوس (مشهد الحالية) عام ١٩٣ هـ.

بويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه أخوه موسى الهادي عام ١٧٠ هـ ، وكان عمره آنذاك ٢٢ ، وأمه الخيزران بنت عطاء.

عاش الرشيد طفولته في ظل رعاية والده محمد المهدي ، وجده المنصور ، وكان ممن تولى تربيته وتعليمه علي بن حمزة الكسائي والمفضَّل الظبّي وغيرهم.

وعندما تسلّم والده محمد المهدي الخلافة عام ١٥٨ هـ ، دفع بأبنه هارون للتدرب على الفروسية والرمي وفنون القتال ، فبرع في ذلك ، ثم بعثه والده على رأس جيش كبير الى أراضي الروم ، ضمَّ عدداً من الأمراء والقادة الكبار عام ١٦٣ هـ وحقق هذا الجيش غايته وأظهر الرشيد براعته في القيادة.

وفي عام ١٦٥ هـ أرسله والده على رأس جيش آخر حاصر القسطنطينية واضطر الروم إلى طلب الصلح ودفع مبلغ مالي للدولة العباسية ، ولما عاد من هذه الحملة تمت البيعة له ولياً للعهد بعد أخيه الهادي.

بعد وفاة المهدي عام ١٦٨ هـ ، تسلّم الهادي مقاليد الخلافة لكن حكمه لم يدم طويلاً فقد توفي بعد سنة وثلاثة أشهر فآلت الخلافة الى هارون الرشيد ، وتمت له البيعة بذلك عام ١٧٠ هـ.

كانت الدولة في عهده تمتد من وسط آسيا الى المحيط الاطلسي وتحتاج الى قيادة حكيمة وحاسمة أمام التحديات ، لكي تفرض سلطان الأمن والسلام ، فكان الرشيد أهلاً لذلك واتخذ يحيى البرمكي وزيراً له ، والفضل بن الربيع حاجباً.

من أهم أعمال هارون الرشيد في خلافته: -

١. أصدر عفواً عاماً أمّنَ فيه كل من كان هارباً او مستخفياً أو متهماً من الدولة.
٢. أنشأ ما عرف بـ (بيت الحكمة) في بغداد وزوّدها بالكتب والمؤلفات التي جمعت من أماكن شتى ، وترجمت كتب اليونان الى العربية ، وخصص للمترجمين أموالاً جزيلة.
٣. اهتم بالإصلاحات الداخلية فبنى المساجد ، وعمّر المدن والقصور وأمر بإنارة الطرقات والمساجد ، وأصلح نظام الري ، وأقام الجسور على الأنهار ، وشجّع التبادل التجاري بين أقاليم الدولة.
٤. شجّع الحركة العلمية ، وقرّب العلماء والشعراء ، وازدهرت العلوم والفنون ، حتى غدت بغداد في عهده قبلة طلاب العلم من جميع البلدان ، حتى عدّ المؤرخون عهده "العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية ".
٥. أخمد الفتن وحركات التمرد التي قام بها الخوارج في ولاية الجزيرة الفراتية.
٦. وضع حدّاً لنفوذ البرامكة الذين استأثروا بجانب من الصلاحيات والسلطة وقاموا بأعمال أساءت الى مركز الخليفة في الدولة.
٧. وجّه حملات عسكرية تأديبية للدولة البيزنطية ، واضطرها الى طلب الصلح ودفع الجزية مدة خلافته.
٨. طلبت الدولة الرومانية الغربية برئاسة شارلمان إقامة علاقة ودّيّة مع الدولة العربية الاسلامية في عهد الرشيد ، فوافق على ذلك وسمح بدخول بعثاتهم وتبادل الهدايا مع ملكهم.

والحق الذي لا مراء فيه ان هارون الرشيد يعد من أبرز الخلفاء العباسيين ، بل وأشهر من حكم في تاريخ الاسلام بشهادة المنصفين ، وكان عهده يمثل إرثاً ثقافياً وأدبيّاً مميزاً لبغداد ، وكل مدن العالم الاسلامي آنذاك.

توفي هارون الرشيد عام ١٩٣ هـ بعد أن عهد بالخلافة لولديه محمد الأمين وعبد الله المأمون.

الخليفة المأمون عبد الله أبو العباس

(١٩٨-٢١٨هـ)

وُلِدَ المأمون بن هارون الرشيد في عام ١٧٠ هـ ، بويعَ وليّاً للعهد بعد أخيه الأمين ثم بويع للخلافة عام ١٩٨ هـ قبيل مقتل أخيه الأمين.

كان في مرو لدى مبايعته ثم قَدِمَ بغداد وباشر بتعيين العديد من القادة ورجال الدولة على الولايات المختلفة ، مثل أخيه صالح الذي ولّاه على البصرة ، وطاهر بن الحسين الذي ولاه خراسان ، وعيسى بن محمد ولاه أرمينيا وأذربيجان وكلّفه بمحاربة بابك الخرّمي.

أظهر المأمون عام ٢١٢ هـ القول بخلق القرآن فحدثت المحنة للعلماء بسبب هذا القول، بتعذيب عدد منهم مثل الأمام أحمد بن حنبل.

بايع من بعده لأخيه المعتصم ، ابي اسحاق محمد بن الرشيد ، وبينما هو في بلاد الروم أدركته الوفاة سنة ٢١٨ هـ فدفن في طرسوس.

الخليفة المعتصم أبو إسحق محمد بن الرشيد

(٢١٨-٢٢٧هـ)

وُلِدَ محمد المعتصم عام ١٧٩ هـ ، وولي الخلافة عام ٢١٨ هـ بعد وفاة أخيه المأمون. كان على المعتصم القيام بأعمال جسام منها قتال بابك الخُرَّمي وقد تمكّن من القضاء عليه ، ومنها حروب الروم وتأديبهم وقد استطاع القيام بذلك أيضاً.

استخدم المعتصم الجند الأتراك في جيشه وأكثرَ من أعدادهم حتى زاد أذاهم في بغداد وتضايق الناس منهم مما اضطره إلى إقامة مدينة سامراء (سُرَّ

مَن رأى) في مكان القاطول إلى الشمال من بغداد واتخذها عاصمة له فانتقل إليها عام ٢٢٠ هـ.

تابع المعتصم مقالة المأمون بخلق القرآن، وقد امتحن الأمام أحمد بن حنبل رحمه الله في هذه القضية وناله ما ناله من العذاب. كانت وفاة الخليفة المعتصم سنة ٢٢٧ هـ

الخليفة المتوكل على الله جعفر أبو الفضل

(٢٣٢-٢٤٧هـ)

بويعَ الخليفة المتوكل على الله بالخلافة بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ ، وكان للجند الأتراك اليد الطولى في تسيير مقاليد الأمور في هذه الحقبة من التاريخ العباسي فأرادوا تولية محمد بن الواثق ولكنهم إستصغروه فعدلوا عنه الى جعفر المتوكّل.

منع المتوكل القول بخلق القرآن فأزال المحنة التي وقعت بسبب هذا القول وأكرم الإمام أحمد بن حنبل.

أخذ المتوكل بمذهب الإمام الشافعي ، ويعد أول الخلفاء بهذا الأخذ. أراد في أواخر حياته تقديم أحد ابنيه وهو المعتز على المنتصر فطلب من الأخير التنازل عن ولاية العهد فرفض واتفق مع الجند الترك على قتل أبيه المتوكل ، فقتلوه مع وزيره وبايعوا للمنتصر.

المبحث الثاني
عصر السيطرة التركية

المستعين بالله أبو العباس

(٢٤٨-٢٥٢هـ)

بعد وفاة المنتصر خشيَ القادة الأتراك أن يتولى الخلافة أحد أبناء المتوكل فينتقم منهم لقتلهم أباه لذا فقد اختاروا المستعين أحمد بن محمد المعتصم وهو عم المنتصر. لكن ما لبث القادة الأتراك أن تنكروا للخليفة المستعين فانتقل إلى بغداد فبعث الأتراك إليه يعتذرون منه ويسترضونه فلم يقبل ، فأظهروا الشغب في سامراء ودخلوا السجن وأخرجوا من فيه ومنهم المعتز بن المتوكل فبايعوا له.

أما بغداد فقد بقيت على بيعتها للمستعين ، فنشب القتال بين الطرفين وطالت الحرب حتى تم إقناع المستعين بخلع نفسه ووضع شروطه للمعتز وتم الأمر فخلع نفسه سنة ٢٥٢ هـ وبايع للمعتز فبايعت بغداد ، وانتقل بعدها إلى واسط ، فأرسل إليه المعتز من قتله بعد تسعة أشهر في سنة ٢٥٢ هـ.

الخليفة المقتدر بالله أبو الفضل

(٢٩٥-٣٢٠هـ)

لما اشتد مرض أخيه المكتفي عهد إليه بالخلافة، تولى الخلافة وهو صغير السن حيث كان عمره ثلاث عشرة سنة، صغر سنه أغرى الطامعين في عرش الخلافة فكثرت

المحاولات لخلعه وفعلا نجحت هذه المحاولات أكثر من مرة في خلعه وتولية آخرين فكانت مدة حكمه غير مستقرة مملوءة بالقلاقل والاضطرابات والتي كان أبرزها هجوم أبي طاهر القرمطي على مكة وقتل الحجيج واقتلع الحجر الأسود، وغيرها كثير، قتل الخليفة المقتدر على يد أحد القادة الأتراك سنة ٣٢٠هـ.

الخليفة الراضي بالله أبو العباس

(٣٢٢-٣٢٩هـ)

هو محمد بن جعفر المقتدر، يكنى أبا العباس، بويع بالخلافة بعد خلع عمه القاهر وذلك سنة ٣٢٢هـ فكان عمره خمسة وعشرين عاماً.

في عهده أصبح علي بن بويه سيد الموقف في فارس وخراسان، وقاطع الخليفة على البلاد التي استولى عليها بمائة مليون درهم، لكنه كان يماطل بالدفع.

انقطع الحج من بغداد في أيامه بسبب القرامطة الذين يعيثون الفساد في البلاد واستمر انقطاعه حتى سنة٣٢٧هـ.

استدعى الخليفة الراضي محمد بن رائق من واسط ليوليه إمرة الأمراء فجاء ومعه الأمير (بجكم)، وأصبح كل شيء بأمر محمد بن رائق، وضعف أمر الخلافة جداً، واستقل الولاة كل بما تحت يده، ولم يبق للخليفة سوى بغداد وما حولها

والأمـــر فيهـــا أيضـــا لمحمـــد بـــن رائـــق، والخليفـــة ألعوبـــة بيـــده أو صورة في الأقل.

مـــات الخليفـــة الراضـــي ســـنة ٣٢٩هـــ، وعمـــره اثنتـــان وثلاثون سنة، وكانت مدة خلافته سبع سنوات تقريباً.

الخليفة المستكفي بالله أبو القاسم

(٣٣٣-٣٣٤هـ)

هـو عبـد الله بـن علـي المكتفـي، بويـع بالخلافـة حـين كـان عمره أربعين سنة أو يزيد قليلاً.

دخـل أحمـد بـن بويـه بغـداد فقرّبـه الخليفـة ولقبـه (معـز الدولـة)، كمـا لقـب أخـاه عليـا (عمـاد الدولـة) وأخـاه الآخـر الحسـن (ركـن الدولـة)، ولقـب المسـتكفي نفسـه (إمـام الحـق)، ثـم إن معـز الدولـة قـوي أمـره فحجـز علـى الخليفـة، وقـدر لـه نفقـة يوميـة قـدرها خمسة آلاف درهم.

وفـي جمـادى الآخـرة مـن سـنة٣٣٤هـ تـوجس معـز الدولـة مـن المسـتكفي شـيئا فـدخل علـى الخليفـة وانتزعـه بعـض جنـود معـز الدولـة مـن سـريره وجـروه، ثـم نهـب الجنـد دار الخلافـة حتـى لـم يبـق فيهـا شـيء، وسـار معـز الدولـة إلـى منزلـه راكبـاً، وسـاقوا المسـتكفي ماشـياً إليـه، ثـم خلـع وسـملت عينـاه، ثـم أحضـر الفضـل بـن المقتـدر، وبويـع بالخلافـة باسـم المطيـع، وبايعـه ابـن عمـه الخليفـة المخلـوع المسـتكفي، وقـد شـهد علـى نفسـه بـالخلع، ثـم سجن إلى أن مات سنة ٣٣٨هـ.

المبحث الثالث

عصر السيطرة البويهية

وتمتد هذه المرحلة من ٣٣٤ – ٤٤٧هـ أي مدة ثلاث عشرة ومائة سنة، وتعاقب في هذه المدة أربعة خلفاء فقط، إذ أن أيامهم قد طالت، فأقلهم حكم ثماني عشرة سنة، وهو الخليفة الطائع أي الثاني في هذه المرحلة، على حين وصلت أيام الخليفة القادر إلى إحدى وأربعين سنة.

امتازت هذه المرحلة بسيطرة آل بويه الذين يعودون في أصولهم إلى الفرس، وسكنت هذه الأسرة بلاد الديلم فعرفوا كأنهم منهم.

وأصبح في الخلافة سلطان أو ملك واحد أو أمير للأمراء من البويهيين بيده الأمر والنهي على حين كان في المرحلة السابقة أيام سيطرة الجنود الأتراك عدد من الأمراء القادة يقاتل بعضهم بعضاً ويتباين هؤلاء الأمراء في أصولهم ومراتبهم، وصحيح أنه وقع الخلاف بين البويهيين ولكنهم كانوا من أسرة واحدةٍ اختلف أبناؤها بعضهم مع بعض.

وقد كان الخلفاء على درجة طيبة من الاستقامة والتدين ولكنهم كانوا مغلوبين على أمرهم، فالبويهيون بيدهم كل شيء.

الخليفة المطيع لله أبو القاسم

(٣٣٤-٣٦٣هـ)

هو الفضل بن جعفر المقتدر، ولد سنة ٣٠١هـ، يكنى أبا القاسم، كان مستخفياً من ابن عمه المستكفي، وهو يطلبه، بويع بالخلافة بعده سنة٣٣٤هـ، وأحضر المستكفي عنده فسلم عليه بالخلافة وأشهد على نفسه بالخلع، وازداد أمر الخلفاء إدباراً ولم يبق لهم من الأمر شيء البتة وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل والحرمة قائمة بعض الشيء فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث أن الخليفة لم يبق له وزير إنما كان له كاتب يدبر إقطاعه وإخراجاته لا غير، وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد. كانت وفاته سنة ٣٦٣هـ.

الخليفة القائم بأمر الله أبو جعفر

(٤٢٢-٤٦٧هـ)

هو عبد الله بن أحمد القادر، أبو جعفر، ولي أمر الخلافة سنة ٤٢٢هـ، فكان عمره إحدى وثلاثين سنة بعهد من أبيه، وأبوه هو الذي لقبه القائم بأمر الله.

كان أرسلان التركي البساسيري أحد موالي بني بويه قد طغى حتى خافه الناس جميعاً، وثبت للخليفة أن البساسيري سيء العقيدة، وأن عنده رغبة في القبض على الخليفة وإلغاء

الخلافة العباسية فما كان من الخليفة إلا أن راسل طغرل بك بن سلجوق سلطان الأتراك الغز وهو بالري يستنهضه للقدوم إليه، ثم أحرقت دار البساسيري، وقدم طغرل بك إلى بغداد، واستأذن الخليفة بدخولها فأذن له فدخلها سنة ٤٤٧هـ، وقد تمكن البساسيري من أخذ الموصل. فراسل البساسيري صاحب مصر المستنصر العبيدي، وطلب المدد منه فأمده بالجند من الشام وبالمال.

قبض البساسيري على الخليفة، وأرسله إلى حديثة عانة حيث سجن هناك ، فتفرغ طغرل بك لأمر البساسيري فعاد إلى بغداد ودخلها سنة ٤٥١هـ، وظفر بالبساسيري وقتله، ورجع الخليفة إلى داره. توفي الخليفة القائم بأمر الله سنة٤٦٧ هـ وخلفه حفيده.

المبحث الرابع

عصر السيطرة السلجوقية

امتدت هذه المرحلة من سنة ٤٤٧هـ يوم دخل طغرل بك السلجوقي بغداد ، إلى عام ٥٩٠ هـ إذ بدأت حقبة انتعاش الخلافة العباسية، وتمتد هذه المرحلة مائة وثلاثة وأربعين عاماً، تعاقب عليها اثنا عشر خليفة تفاوتت مدة خلافتهم بين سبع وأربعين سنة وهي مدة الخليفة الناصر وبين سنة واحدة وهي خلافة كل من الراشد، والظاهر.

كان خلفاء هذه المرحلة على درجة من العدل والتقوى والإحسان والعطف على الناس، وقد أحبتهم الرعية حباً كبيراً حتى ليعم الحزن البلاد عندما يتوفى أحد الخلفاء، ولما قُتل المسترشد ظهر التأثر واضحاً على الرعية وكذا الحال عندما قُتل الراشد، ولم يقتل من هؤلاء الخلفاء جميعهم سوى المسترشد وابنه الراشد... أما قتل المستعصم آخر خلفاء العباسيين ببغداد فقد كان على أيدي المغول الأعداء فكأنما هو استشهاد، وقد عاش الخليفة الأول من هذه المرحلة وهو القائم مدة عشرين سنة ٤٤٧-٤٦٧هـ وهو الذي استنهض همة طغرل بك السلجوقي لدخول بغداد، وبه بدأت هذه المرحلة وإن كان قد تولى الخلافة في المرحلة السابقة خمساً وعشرين سنة أيضاً.

ولم يكن السلاجقة – وهم القوة المسيطرة على الخلافة – يتصرفون مع الخليفة ذلك التصرف السيء الذي كان يقوم

بـــه مـــن ســـبقهم ســـواء مـــن القـــادة الأتـــراك أم مـــن البـــويهيين، فالقـــادة الأتـــراك كـــانوا عســـكريين جهلـــة ومختلفـــين فيمـــا بيـــنهم فـــإذا ظـــن أحـــدهم أن الخليفـــة مـــال لآخـــر ســـعى إلـــى قتلـــه بصـــورة مـــن الصـــور أو إلـــى ســـمل عينيـــه وإهانتـــه، أمـــا تصـــرف البـــويهيين مـــع الخلفـــاء فلـــم يكـــن تصـــرف التـــابع، أو تصـــرف المبـــايع للخليفـــة الحـــريص علـــى هيبـــة الحكـــم والنظـــام ومـــا يقتضـــي بـــه الشـــرع بالنســـبة إلـــى معاملـــة الخليفـــة الشـــرعي، بينمـــا ســـلوك الســـلاجقة مـــع الخلفـــاء الطيـــب نســـبياً قـــد أعـــاد للخليفـــة هيبتـــه أو مكانتـــه وإن كـــان بصـــورة نســـبية أيضـــاً أي يختلـــف الأمـــر عمـــا كانـــت عليـــه مكانـــة الخليفـــة أيام البويهيين ومن سبقهم من المستأثرين بالسلطة.

يعـــود الســـلاجقة فـــي أصـــولهم إلـــى قبائـــل الأوغـــوُز مـــن التـــرك، ويـــدينون بالإســـلام، ويأخـــذون بـــرأي أهـــل الســـنة والجماعـــة، ويرجـــع أول أمـــرهم إلـــى ســـلجوق بـــن دقّـــاق الـــذي هـــرب مـــن بـــلاد التـــرك خوفـــاً علـــى نفســـه مـــن ســـلطان التـــرك الـــذي أوغـــرت صـــدره زوجـــه لمـــا رأت مـــن محبـــة النـــاس لســـلجوق وطـــاعتهم لـــه، ولمـــا دخـــل ســـلجوق بـــلاد المســـلمين اعتنـــق الإســـلام مـــع جماعتـــه بـــل بـــدأ يُغيـــر علـــى بـــلاد التـــرك الـــذين كـــانوا مـــا يزالـــون علـــى الكفـــر، وكـــان سلجوق إذا ما دخل أرضاً ضمّها إلى بلاد الإسلام.

واســـتمر ســـلطان الســـلاجقة حتـــى ســـيطر علـــى منـــاطق نفـــوذهم الخوارزميـــون ســـنة٥٩٠هـــ، واســـتمر ذلـــك حتـــى جـــاء

المغـول، ثـم دخـل هولاكـو بغـداد سـنة ٦٥٦هـ فـزال سـلطان الدولـة العباسية.

بعـد أن دخـل السـلاجقة بغـداد سـنة٤٤٧هـ بقـي القـائم بـأمر الله خليفـة عشـرين سـنة أخـرى، بـل إن هـذا الخليفـة هـو الذي أذن لطغرل بك زعيم السلاجقة أن يدخل بغداد.

الخليفة المقتدي بأمر الله أبو القاسم

(٤٦٧-٤٨٧هـ)

وفـي أيـام المقتـدي اسـترد المسـلمون مـن الـروم إنطاكيـة علـى يـد سـليمان بـن قطلمـش السـلجوقي سـنة ٤٧٧هـ، وكـان الـروم قـد أخـذوها مـن المسـلمين سـنة ٣٥٨هـ، كمـا اسـترد المسـلمون منـبج سـنة ٤٦٨هـ علـى يـد نصـر بـن مـرداس، وانتصـر المسـلمون فـي الأنـدلس فـي معركـة الزلاقـة سـنة ٤٧٩هـ علـى النصـارى الإسـبان بعـد أن دعـم الأندلسـيين أميـر المسـلمين يوسـف بـن تاشـفين صـاحب المغـرب، وكـان هـذا النصـر مـؤزراً، وكانـت المعركـة حاسـمة، كمـا فـتح المسـلمون فـي أيامـه أجـزاء مـن الهند، وأخذوا قلاعاً حصينة هناك على أيدي الغزنويين.

وفـي أيـام المقتـدي أعيـدت الخطبـة العباسـية فـي دمشـق سـنة ٤٦٨هـ، وفـي مكـة سـنة ٤٧٤هـ، وتـوفي الخليفـة المقتـدي – رحمـه الله– فـي مطلـع سـنة ٤٨٧هـ، وبـذا تكـون خلافتـه قـد قاربت العشرين عاماً، وكان فيها خير للمسلمين.

الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ)

هو أبو العباس أحمد بن عبد الله المقتدي بالله ولد في سنة ٤٧٠هـ، وبويع بالخلافة عند وفاة أبيه وعمره سبع عشرة سنة، وفي أيامه بدأت الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي، وتوفي سنة ٥١٢هـ.

الخليفة المستنجد بالله أبو المظفر

(٥٥٥-٥٦٦هـ)

هو يوسف أبو المظفر المستنجد بالله بن محمد المقتفي لأمر الله ، بويع بالخلافة يوم موت أبيه يوم الأحد الثاني من ربيع الأول من سنة ٥٥٥هـ.

وفي أيامه اتسعت رقعة ميدان القتال بين المسلمين والصليبيين، وكانت الساحة بلاد الشام ومصر، ويقود القتال محمود نور الدين في كلتا الساحتين حيث ضعفت الدولة العبيدية لدرجة كبيرة وهذا ما جعل نور الدين محمود يتولى أمر الدفاع عن مصر.

وفي أيامه هاجمت الكرج سنة ٥٥٧هـ بلاد المسلمين ونهبوا وسبوا وقتلوا كثيراً فاجتمع لهم حكام أذربيجان ومراغة وخلاط وثأروا منهم.

وتوفي في سنة ٥٦٦هـ، وبذا تكون خلافته قد زادت على إحدى عشرة سنة.

المبحث الخامس

حقبة انتعاش الخلافة

الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس

(٥٧٥-٦٢٢هـ)

هو الناصر لدين الله أحمد أبو العباس بن الحسن المستضيء بأمر الله، ولد سنة ٥٥٣هـ. بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه في عام ٥٧٥هـ.

لم يكن في أيامه خليفة سواه، وفي عهده ضعف أمر الصليبيين، وظهر الأيوبيون وعلا سلطانهم، ففتح صلاح الدين الأيوبي القدس عام ٥٨٣، وعقد صلح الرملة سنة ٥٨٨هـ، ثم توفي سنة ٥٨٩هـ.

وتوفي الناصر لدين الله سنة ٦٢٢هـ فكانت مدة خلافته سبعاً وأربعين سنة.

الخليفة المستنصر بالله أبو جعفر

(٦٢٣-٦٤٠هـ)

هو منصور، أبو جعفر بن الظاهر بأمر الله، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه الظاهر بأمر الله في سنة ٦٢٣هـ، فنشر العدل بين الرعية، وبذل الإنصاف في القضايا، وقرب أهل العلم والدين، وبنى

المساجد والمدارس، والمستشفيات وجمع الجيوش لنصرة الإسلام، وأحبه الناس، وكان ذا شجاعة وإقدام، وقد هزم جنود التتار.

توفي المستنصر في سنة ٦٤٠هـ فكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة، وكانت خلافته ست عشرة سنة وعشرة أشهر.

الخليفة المستعصم بالله أبو أحمد

(٦٤٠-٦٥٦هـ)

هو عبد الله، المستعصم بالله، أبو أحمد بن منصور المستنصر بالله، آخر خلفاء بني العباس في بغداد. بويع بالخلافة عند وفاة أبيه سنة ٦٤٠هـ.

كان متديناً متمسكاً بالسنة كأبيه وجده، ولكن لم يكن مثلهما في الحزم والشجاعة وعلو الهمة، وكان فيه لين وضعف وركن إلى وزيره مؤيد الدين العلقمي.

كان الخليفة المستنصر والد المستعصم قد استكثر من الجند ليدافع بهم عن دولته، ومع ذلك كان يصانع التتار، ولكن إذا تعدوا قاتلهم وقهرهم، والمستعصم عندما أشار عليه العلقمي بأن يُقلل من الجند ولا فائدة لهذه الأعداد فوافقه كما أشار عليه بمصانعة التتار وإكرامهم وفي الوقت نفسه كان الوزير يتصل مع التتار، ويشجعهم على القدوم إلى العراق، وطلب منهم أن يكون نائبهم والمقدم عندهم، فوعدوه بذلك،

وساروا إلى بغداد، وكان قد استوزره سنة٦٤٢هـ، وكان من قبل أستاذاً بدار الخلافة فجعل مكانه ابن الجوزي.

قتل المستعصم بالله على يد التتار يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر من سنة ٦٥٦هـ، وبمقتله انتهت دولة بني العباس في العراق، فهو آخر خلفاء هذه الدولة، والسابع والثلاثون منهم.

أسئلة الفصل الثاني

س١/ املأ الفراغات الآتية بما يناسبها:

١. بويع للمنصور بالخلافة سنة ..... والدولة لا تزال ..... لكنه استطاع ان يثبت أركانها بـ .....

٢. ولد هارون الرشيد في مدينة .....، وتولى الخلافة سنة .....، وتوفي في مدينة .....

٣. بويع للخليفة المتوكل على الله بعد وفاة أخيه ..... سنة ..... وكان للجند ..... اليد الطولى في تسيير مقاليد الأمور.

٤. يعود السلاجقة في اصولهم الى قبائل ..... ويدينون بـ ..... ويأخذون برأي .....

س٢/ علل ما يأتي:

١. سيطرة البويهيين على الخلافة.

٢. سيطرة السلاجقة على الخلافة.

س٣/ عرف تعريفاً موجزاً لكل من:

١. الخليفة المطيع لله.

٢. الخليفة القائم بأمر الله.

س٤/ أختر الأجابة الصحيحة بما يأتي:

١. من أنشأ بيت الحكمة في بغداد:

– المأمون　　– هارون الرشيد　　– أبو جعفر المنصور

٢. في سنة ٤٦٧ هـ تولى الخلافة:

– المستظهر بالله　　– المقتدي بأمر الله　　– المستنجد بالله

س٥/ أجب عما يأتي:

١. مرت الدولة العباسية بخمسة عصور، أذكرها مع المدة لكل عصر.

٢. خطبَ أبو العباس السفاح بالناس اول بيعته، أذكر مضمون خطابه بإيجاز.

٣. أذكر اهم المزايا والصفات التي تمتع بها المنصور.

٤. أوجز اهم اعمال الخليفة هارون الرشيد.

٥. اذكر ترتيب الخلفاء في العصر العباسي الأول (١٣٢–٢٤٧ هـ).

٦. ما الدور الذي قام به أبو طاهر القرمطي في زعزعة الخلافة.

الفصل الثالث

الدول المستقلة عن الخلافة العباسية

المبحث الأول: الدولة الأموية في الأندلس

المبحث الثاني: الدول في بلاد المغرب

١. الدولة الرستمية

٢. دولة الأدارسة

٣. دولة الأغالبة

المبحث الثالث: دول في بلاد المشرق

١. الدولة الطاهرية

٢. الدولة السامانية

المبحث الرابع: دول في مصر والشام

١. الدولة الفاطمية

٢. الدولة الزنكية

٣. الدولة الأيوبية

٤. الدولة المملوكية

نواتج التعلم

بعد الانتهاء من الفصل الثالث يكون الطالب قادراً على ان:

١. يعلل استقلال عدد من الدويلات على الخلافة العباسية.

٢. يشرح نشأة الدولة الاموية في الاندلس.

٣. يشرح الاعمال التي قام بها عبد الرحمن الداخل في الاندلس مما جعلها تتفوق على حضارات الدول الاوربية.

٤. يبين نشأة الدولة الرستمية.

٥. يبين من هم الادارسة.

٦. يبين الظروف التي أدت لقيام دولة الادارسة.

٧. يذكر تاريخ قيام دولة الاغالبة.

٨. يبين علاقة الاغالبة بالخلافة العباسية وبالأدارسة.

٩. يعرف طاهر بن الحسين.

١٠. يشرح مواجهة عبد الله بن طاهر لحركة بابك الخرمي وحركة المازيار.

١١. يشرح الثورات التي قامت ضد الطاهريين ونتائجها.

١٢. يبين مدة حكم السامانيين.

١٣. يوضح الجانب الحضاري للدولة السامانية.

١٤. يوضح نشأة الدولة الفاطمية.

١٥. يشرح كيفية استيلاء الفاطميين (العبيديين) على مصر.

١٦. يتكلم عن علاقة الدولة الفاطمية بالعباسيين في بغداد والامويين في الاندلس.

١٧. يشرح الظروف التي أدت لسقوط الدولة الفاطمية.

١٨. يبين الأوضاع الممهدة لقيام الدولة الزنكية.

١٩. يعدد أسباب قوة الدولة الزنكية.

٢٠. يعرف نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي.

٢١. يوضح العلاقة بين نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبي.
٢٢. يعلل اعتبار وفاة نور الدين محمود هي بداية النهاية للدولة الزنكية.
٢٣. يبين تأسيس الدولة الايوبية وحدودها الجغرافية.
٢٤. يعرف صلاح الدين الايوبي.
٢٥. يعلل تفكك الدولة الايوبية بعد وفاة صلاح الدين الايوبي.
٢٦. يعرف موقعتي حطين وغزة.
٢٧. يبين المقصود بـ (المماليك).
٢٨. يوضح ظروف وصول المماليك لحكم مصر.
٢٩. يعرف السلطان سيف الدين قطز.
٣٠. يعرف معركة عين جالوت.
٣١. يعرف معركة بيسان.

الفصل الثالث

تمـهيد

فـي عهـد الخلافـة العباسـية اسـتقلَّ قسـم مـن بعـض الـدول عنهـا اسـتقلالا تامـا، بينمـا أخـذ منهـا يتجـه نحـو اسـتقلال جزئـي، تصبح البلاد فيه تابعة للخلافة اسمًا (فقط).

قـد كـان قيـام الـدويلات نتيجـة لضـعف الخلافـة، وسـببًا لمزيـد مـن الانحـلال، وخطـوة علـى طريـق النهايـة، لقـد قامـت أولـى هـذه الـدويلات فـي أقصـى الغـرب؛ لبعـده عـن عاصـمة الدولـة، ومركـز السـلطان فيهـا، فقامـت دولـة الأمـويين فـي الأنـدلس، وبقيامهـا فـي سـنة ١٣٧هـ/٧٥٦م ضـعف نفـوذ العباسـيين علـى الغـرب، وسـرعان مـا نشـأت الـدويلات فـي شـمال إفريقية.

وحـين تطـرق الضـعف إلـى جسـد الخلافـة العباسـية كلـه، نشـأت الـدويلات فـي بقيـة أجـزاء الدولـة، وقـد تسـببت هـذه الـدول فـي ضـعف الدولـة العباسـية وانحلالهـا؛ ذلـك لأنَّ علاقـة هـذه الـدويلات بالدولـة العباسـية كانـت مختلفـة اختلافًـا كبيـرًا، فقـد انفصـل قسـم منهـا عـن الدولـة انفصـالا تامّـا، ونافسـها قسـم منهـا على تولى الخلافة نفسها.

كمـا ظـل قسـم آخـر علـى علاقـة اسـمية بالدولـة، فيكفـي الخليفـة أن يـذكر اسـمه علـى المنـابر، ويسـك اسـمه علـى العملـة، وفـى حقيقـة الأمـر أنهـا دولـة مسـتقلة تمامًـا لا تخضـع لـه فـي

شـــيء. وهنـــاك دويـــلات ظلـــت علـــى صـــلة متذبذبـــة بالدولـــة، تقـــوى حينًا، وتضعف حينًا آخر تبعًا لتغير الأحوال.

وفيمـــا يـــأتي نـــذكر قســـم مـــن هـــذه الـــدول والإمـــارات، التـــي انفصلت عن دولة الخلافة العباسية.

المبحث الأول

الدولة الاموية في الأندلس

(١٣٨-٤٢٢هـ)

لمـــا قامـــت الخلافـــة العباســـية طـــارد العباســـيون الأمـــويين، وقـــد أفلـــت مـــن أيـــديهم واحـــد مـــن بنـــى أميـــة هـــو عبـــد الـــرحمن بـــن معاويـــة بـــن هشـــام حفيـــد هشـــام بـــن عبـــد الملـــك عاشـــر الخلفـــاء الأمويين.

لقـــد هـــرب إلـــى فلســـطين، ومنهـــا إلـــى مصـــر ثـــم المغـــرب بعـــد خمـــس ســـنوات مـــن التجـــول والتخفـــي عـــن عيـــون العباســـيين ومكـــث عنـــد أخوالـــه الـــذين أكرمـــوه فـــراح يُعِـــدّ العـــدة، ويرســـم الخطـــوط العريضـــة لإقامـــة دولـــة يُحيـــي بهـــا مجـــد آبائـــه وأجـــداده الأمويين.

وأخـــذ يتطلـــع إلـــى "الأنـــدلس الإســـلامية" ليقـــيم فيهـــا الخلافـــة الإســـلامية الأمويـــة مـــن جديـــد، فهـــي الـــبلاد التـــي فتحهـــا الجـــيش الإســـلامي بقيـــادة طـــارق بـــن زيـــاد وموســـى بـــن نصـــير، زمـــن الأمـــويين منـــذ ســـنة ٩٢هـــ/٧١١م، وإلـــيهم يرجـــع الفضـــل فـــي

فتحها ،ولقد استقرت بها طوائف من أهل الشام وجُنْدِه الموالين للبيت الأموي، ورَحّبَ به أنصارُ بنى أمية، ورأَوْا فيه شخصًا جديرًا بأن يتولى زعامتهم بدلا من ذلك الوالي العباسي، وعبر البحر إلى شاطئ الأندلس، وهناك انضمّ إليه أنصارُ بنى أمية، فاستولى على مدن البلاد الأندلسية الجنوبية دون مقاومة، ثم راح يستولي على "قرطبة" عاصمة "ولاية الأندلس" سنة ١٤١هـ/ ٧٥٩م، بعد هزيمة الوالي العباسي، وأعلن نفسه أميرًا، وأصدر عفوًا عامًا عند دخوله قرطبة ليمكن لنفسه في البلاد، وتم له ما أراد بعد بضع سنوات فقط من تولي العباسيين عرش الخلافة في بغداد، وبهذا انفصلت ولاية الأندلس، عن الخلافة في بغداد انفصالا رسميّا.

ظل "عبد الرحمن الأموي" يعمل طوال حكمه الذي استمر ثلاثة وثلاثين عامًا على تأمين مركزه في جميع أجزاء دولته الجديدة، فأخمد الفتن، وأحبط الدسائس، وقضى على تلك المحاولات التي قام بها العباسيون لإخراجه من الأندلس.

ولقد اكتفت الخلافة العباسية ببقاء عبد الرحمن الأموي بعيدًا عنها في إمارته.

وراح عبد الرحمن يبنى، ويعمر، ويُعيدُ الحياة الآمنة الهادئة إلى ربوع الأندلس أكثر من ثلاثين سنة.

ولقد قابلته صعوبات وعقبات، منها تلك الفتن التي نشبت بين المضرية واليمنية، وهما من العرب، وكان هناك

خطـــر جـــاثم يتمثـــل فـــي "دولـــة الفرنجـــة" وكانـــت هنـــاك إســـبانيا النصـــرانية التـــي اســـتطاعت أن تكـــون مملكـــة فـــي الشـــمال الغربـــي من شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا والبرتغال).

وقـــد اســـتطاع عبـــد الـــرحمن أن ينـــافس العباســـيين فـــي بغـــداد، وفاقـــت حضـــارة بـــلاده حضـــارات الدولـــة الأوربيـــة المعاصـــرة لها.

المبحث الثاني

الدول في بلاد المغرب

١- الدولة الرستمية (١٦٠-٢٩٦هـ):

قامت الدولة الرستمية في المغرب الأوسط (الجزائر)، وتنسب إلى مؤسسها "عبد الرحمن بن رستم " زعيم الخوارج الإباضية، وكان الخوارج قد فروا في مرحلة مبكرة من الأمويين بدمشق والشام إلى المغرب.

وحاول الخوارج نشر مبادئهم هناك، وكانت الدولة العباسية كالدولة الأموية تحاول القضاء عليهم، واستقر عبد الرحمن بن رستم في إقليم "تاهرت" بالمغرب الأوسط، وقام بنشر مذهبه هناك حتى بويع بالإمامة سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م، فأعلن قيام دولته التي صارت ملجأ لإباضية العراق وفارس وغيرهما.

نجح عبد الرحمن بن رستم في توطيد دعائم دولته خلال مدة حكمه ، ثم تتابع في حكم الدولة الرستمية خمسة من الأمراء، كان اليقظان بن أبى اليقظان آخرهم.

وظل أتباع هذه الدولة يتصارعون ويختلفون حتى انقرضت الدولة الرستمية سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م، في عهد اليقظان بن أبي اليقظان على يد داعي الفاطميين أبي عبد الله الشيعي.

لقد كانت علاقة الدولة الرستمية متوترة مع الأغالبة الذين يمثلون الدولة العباسية، ولكنهم كانوا على علاقة طيبة بالأمويين في الأندلس، وذلك لأن الأمويين كانوا يبادلون العباسيين الكراهية والعداء.

٢- دولة الأدارسة (١٧٢-٣٦٤هـ):

ذُكِرَ أنه في أيام الخليفة الهادي قامت ثورة "علوية" في الحجاز، وهي من تلك الثورات التي كان العلويون يشعلون نارها طوال خلافة العباسيين. وقامت قوات "الهادي" بالقضاء على هذه الثورة في موقعة "فخ". ولكن قسم من رؤوس هذه الثورة وقادتها قد أفلتوا من أيدي العباسيين وهربوا إلى أماكن نائية بعيدًا عن أيديهم.

وكان ممن هربوا عَلَوِي يسمى "إدريس" بن عبد الله بن الحسن بن على (رضى الله عنه). وراحت قوات العباسيين تطارده، وعيونهم وجواسيسهم تبحث عنه، فظل ينتقل من بلد إلى بلد آخر حتى وصل إلى أقصى المغرب، وهناك أعلن أنه من سلالة النبي(صلى الله عليه وسلم) فأسرع البربر بالالتفاف حوله غير أن جيش أنصار الخليفة العباسي تمكن من هزيمته، ولكن ابنه إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي تمكن من جمع أهل المغرب من حوله، وما أسرع ما بايعوه، ولم يجد صعوبة في قيادتهم والاستيلاء على الإقليم جميعه،

والقضاء على أي أثر للنفوذ العباسي فيه، واتخذ عاصمته في فاس، وأقام دولة هناك نُسبت إليه فعُرفت بدولة الأدارسة.

وقد أدت دورًا حضاريّا رائعًا في المغرب الإسلامي، إذ انتشر بهم الإسلام في المغرب بين البربر، وأسّسوا جامع القرويين الذي كان منارة للثقافة الإسلامية، وكان في المغرب كالأزهر في المشرق.

٣- دولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ):

لقد حاول الرشيد أن يوقف نفوذ الأدارسة وتقدمهم، فاختار صديقًا له يدعى "ابن الأغلب" وولاه على القيروان (تونس). وأفهمه أن مهمته الأولى هي: إيقاف "الأدارسة" عند حدهم. واستطاع إبراهيم بن الأغلب بعد أن وصل إلى "القيروان" أن يوقف زحف الأدارسة العلوية، وأن يقي الدولة العباسية شر غزوات البربر والإغارة على الأقاليم الشرقية للدولة، وحقق إبراهيم بن الأغلب للرشيد ما أراد.

وكانت هذه الدويلة تمثل الدويلات ذات العلاقة الاسمية بالدولة العباسية إذ استقل "إبراهيم بن الأغلب" بالإقليم، ولكنه ظل على علاقة إسميّة بالخلافة العباسية، فهو يذكر اسم الخليفة في خطبة الجمعة، ويضع اسمه على العملة، ولكن فيما عدا هذين الأمرين فليس للخليفة العباسي أي نفوذ على

دولة الأغالبة، فهم يتوارثونها أبًا عن جد، ويصرِّفون أمورها كما يشاءون بلا رقيب.

ولما قويت شوكة الأغالبة بدءوا التوسع، ولكن الأدارسة حدوا من توسعهم غربًا، والصحراء حدتهم جنوبًا، والعباسيون شرقًا، فلم يبقَ لهم سوى الاتجاه شمالا حيث البحر، فقاموا بإنشاء أسطول ضخم ، وبدأوا جهادهم ضد الصليبيين بقيادة "أسد بن الفرات" في البحر الأبيض المتوسط، فهاجموا جزيرة "صقلية" وضموها لأراضي المسلمين، ثم استولوا على جزيرتي "مالطة" و"سردينيا" ونزلوا بعد ذلك في كثير من السواحل الأوربية، وبخاصة سواحل إيطاليا الجنوبية والغربية، والسواحل الجنوبية لفرنسا.

وهذه الفتوح على جانب كبير من الأهمية، ذلك أن هذه الجزر والسواحل الضيقة كانت جسرًا عبرت عليه الحضارة الإسلامية إلى أوربا في زمن كانت فيه أوربا في ظلام حالك، كما أن السيطرة على هذه الجزر كان يؤمن التجارة الإسلامية في غرب البحر المتوسط وكانت الثقافة الإسلامية الضوء الوحيد في العالم الذي أنار وجه الأرض حينذاك.

وعاشت دولة الأغالبة قرنًا وتسعة أعوام من سنة ٨٠٠م إلى سنة ٩٠٩م، وازدهرت الحياة الاقتصادية والعمرانية في تونس على عهدهم، ولعبت مساجدهم في تونس دورًا كبيرًا في

دعم الحضارة الإسلامية، وكان جامع الزيتونة جامعة إسلامية عظيمة.

وقد انتهت هذه الدولة على يد الفاطميين يوم دخلوا القيروان.

المبحث الثالث

دول في بلاد المشرق

١. الدولة الطاهرية:

وتنسب الى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق ، كان أبوه أحد وجهاء خراسان في عصر الخليفة هارون الرشيد وقد ولّاه بوشنج وهي إحدى مدن خراسان ، وقد ولد طاهر فيها ونشأ في كنف أسرة عريقة فأخذ عن أبيه الخبرة السياسية والمهارة العسكرية.

بعد وفاة الرشيد سنة ١٩٤ هـ حدث نزاع بين ابنيه الأمين والمأمون وتصاعد حدّ الاقتتال فوجد طاهر بن الحسين طريقه لتحقيق حلمه بولاية خراسان من خلال انضمامه إلى المأمون في حربه لأخيه الأمين وتمكّن من الانتصار على الجيوش التي ارسلها الأمين تباعاً لقتالهم والتقدّم باتجاه الأحواز ثم الوصول إلى بغداد ومحاصرتها مدة طويلة حتى تمكّن من دخولها والقبض على الأمين وقتله.

استقر الأمر للمأمون بالخلافة على إثر هذه الانتصارات سنة ١٩٨ هـ فأسند الى طاهر بن الحسين ولاية خراسان وبقية ولايات المشرق ، ولما توفي طاهر سنة ٢٠٧ هـ أسند المأمون ولاية خراسان لأبنه عبد الله بن طاهر الذي بدوره استخلف أخاه طلحة عليها وتفرّغ لمواجهة أعداء العباسيين في الشام سنة ٢٠٩ هـ ، ومصر سنة ٢١١ هـ.

ترك عبد الله بن طاهر مصر بعد أن اطمأن الى استقرار الأمور فيها وعاد الى بغداد فأستُقبِلَ استقبالا حافلاً من قبل الخليفة ورجال الدولة.

في تلك الأثناء ظهرت حركة بابك الخُرِّمي ، أولى الحركات الخارجة على سلطان الخلافة ، واستفحلت واشتد خطرها ، وفشلت كل محاولات الخلافة للقضاء عليها فأرسل المأمون عبد الله بن طاهر سنة ٢١٣ هـ للقضاء على فتنة بابك الذي لجأ الى الجبال لتجنّب مواجهة جيش عبد الله بن طاهر.

كما تصدى لحركة المازيار الذي خرج على الخليفة المأمون وقويت حركته في عهد الخليفة المعتصم ، فتمكن عبد الله بن طاهر في النهاية من هزيمته وأسره.

كانت الدولة الطاهرية نمطاً فريداً من أساليب الحكم ، فهي لم تكن منفصلة تماماً عن الخلافة كما لم تكن أيضا ولاية

تابعة بشكل مباشر لسلطة الخليفة ، وأنما كانت إمارة شبه مستقلة يحكمها أمير ، يتوارث أبناؤه الإمارة من بعده.

عمل عبدالله بن طاهر على توصيد أركان الدولة الناشئة واهتم بتنظيم النواحي الإدارية فيها والعسكرية والقضائية حتى إذا ما توفي ، ولى الخليفة الواثق أبنه طاهر بن عبدالله (٢٣٠ – ٢٤٨ هـ) أعمال أبيه كلها فكان خير خلف لأبيه ولكن الحال لم يكن كذلك في عهد حفيده محمد بن طاهر بن عبدالله (٢٤٨ – ٢٥٩ هـ) الذي كان ضعيفاً فحدثت في عهده ثورة العلويين في طبرستان وثورة الخوارج في سجستان ، وأخفق جيشهُ في مواجهتها فتولى أمر القضاء عليها الرجال المتطوعة وعلى رأسهم يعقوب بن الليث الصفّار ، مؤسس الدولة الصفارية والذي كانت نهاية الطاهريين على يده سنة ٢٥٩ هـ .

٢. الدولة السامانية (٢٦٦-٣٨٩هـ):

تعود الدولة السامانية إلى "نصر بن أحمد السامانى" الذى ولاه الخليفة "المعتمد" على ما وراء النهر سنة ٢٦١هـ، حتى إذا جاء عام ٢٧٩هـ/٨٩٣م، مات نصر فقام أخوه إسماعيل مقامه في بلاد ما وراء النهر، فوطَّد أمرها، وثبت قواعدها، وقام بحملة عسكرية على المجاورين له من المسيحيين؛ لأنهم كانوا يهاجمون المناطق الإسلامية من حين إلى آخر، وقد نتج عن هذه الحملة انتصاره في هذه الحروب، ودخول كبار قادة

هـذه الـبلاد فـي الإسـلام، وتبعـتهم فـي ذلـك الجمـاهير التابعـة لهـم، لقـد كـان إسـماعيل يحـب الخيـر والعلـم، فقـرب إليـه العلمـاء، ونشـر الخير فيمن حوله.

وفـي عهـده، تـم القضـاء علـى الدولـة الصـفارية، وامتـد نفـوذه إلـى خراسـان، واسـتولى علـى طبرسـتان وتمكـن بعـد ذلـك من ضم الري وقزوين إلى حوزته وتحت سيطرته.

وتوارثـت الأجيـال السـامانية الولايـة بعـد إسـماعيل السـاماني حتـى سـنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م؛ حيـث سـقطت الدولـة السـامانية بسـبب الأطمـاع والخلافـات؛ ممـا أطمـع القـادة والعمـال في الخروج على الحاكمين من السامانيين.

ولا ينسـى التـاريخ أن يـذكر للدولـة السـامانية اهتمامهـا بـالعلم والعلمـاء ورعايتهـا لـلآداب، وقيامهـا بنهضـة فنيـة رائعـة فـي العمـارة، وصـناعة الخـزف والمنسـوجات الحريريـة، وصـناعة الـورق التـي انتشـرت فـي سـمرقند، ومنهـا انتشـرت فـي بقيـة العـالم الإسـلامي، وكـان اهتمـامهم باقتنـاء الكتـب عظيمًـا، فـالمطلع علـى مكتبـة الدولـة يجـد مـالا يوجـد فـي سـواها مـن كتـب المعـارف والعلوم.

المبحث الرابع

دول في مصر والشام

١. الدولة الفاطمية (العبيدية)

تعود تسمية الدولة بـ (العبيدية) نسبة الى مؤسسها عبيد الله المهدي، وتسميتها بـ (الفاطمية) لقولهم إنهم يعودون في نسبهم الى السيدة فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعبيديون شيعة اسماعيلية.

تمكّن عبيد الله المهدي عن طريق دعاته وقادته ، أن يقيم كيان الدولة الأولى في رقّادة (القيروان) في أفريقية أو المغرب الأدنى (تونس الحالية) وخُطِبَ لهُ فيها عام ٢٩٧ هـ ، وبذلك كانت نهاية دولة الأغالبة هناك.

قام عبيد الله المهدي ببناء مدينة المهدية لتكون مركزاً لدولته الجديدة وقاعدة للانطلاق والتوسع ، فاختار موقعها على البحر المتوسط وبنى حولها الأسوار المنيعة وجهّزها بوسائل الدفاع ، فظلّت عاصمة للدولة الفاطمية مدة من الزمن ، تولّى الحكم فيها بعد وفاة عبيد الله المهدي كلٌ من القائم بأمر الله ، ثم المنصور بالله ، فالمعز لدين الله.

قام المعز لدين الله (٣٤١ – ٣٦٥ هـ) بتجهيز حملة عسكرية كبيرة لإخضاع المناطق الواقعة شرق الدولة الفاطمية في المغرب الأدنى ، وكان يطمح أن يبسط نفوذه على مصر ، وفعلاً تم له ذلك ، إذ وجّه ذلك الجيش بقيادة جوهر الصقلّي ، وبعد حروب ومواجهات تمكّن من انتزاع مصر من

الإخشيديين وضمّها للدولة الفاطمية ، وبعد أن عمل جوهر على استتباب الأمن والاستقرار في مصر ، انتقل المعز الفاطمي إليها ، واتخذ من القاهرة عاصمة ومركزاً لحكمه وبذلك أصبحت الدولة الفاطمية تمتد من مصر شرقا الى المحيط الأطلسي غرباً ، واستقر الحكم الفاطمي بشكل دائم منذ عهد المعز لدين الله في مصر .

ومن هناك أخذ الحكام الفاطميون يعملون على توسيع نفوذهم شرقاً وجنوباً لتصبح الدولة الفاطمية فضلاً عن مصر والشمال الأفريقي ، تسيطر على بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية وذلك في عهد الخلفاء الفاطميين اللاحقين.

اعتمد الحكم الفاطمي على مبدأ التوريث وهو أن يأتي الابن خلفاً لأبيه وكان هذا في الأعم الأغلب ، إلّا في حالات نادرة انتقل الحكم فيها إلى أبن الأخ أحياناً ، أو خضع للوصاية في أحيان نادرة أخرى ، ومنذ حكم عبيد الله المهدي (٢٩٧ – ٣٢٢ هـ) عدَّ الفاطميون أن هذا هو ظهور أول إمام من الأئمة الاسماعيلية ، أما قبلهم فكان الأئمة مستورين.

من خلفاء هذه الدولة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ – ٤١١ هـ) وقد مات بصورة غامضة فانشقت عن الاسماعيلية الفاطمية بعد وفاته ، فرقة الدروز الموجودين الآن في سورية ولبنان ، والمستنصر بالله (٤٢٧ – ٤٨٧ هـ) الذي بويع بالخلافة وله سبعة أعوام ، وبعد وفاته حصل انشقاق آخر في الخلافة الفاطمية الإسماعيلية ، إذ انقسمت الى مستعلية ونزارية ، وانقسمت الأولى بدورها الى فرق أخرى.

كان من بين الأعمال المهمة للفاطميين في مصر:

١. الاهتمام بالجانب العمراني والبناء ومن بين اهم الاثار الشاخصة الى اليوم (الجامع الأزهر) في القاهرة.
٢. الاهتمام بالزراعة وإصلاح شبكات الري والمياه ، فأقاموا الجسور والقناطر لتنظيم السقي فزاد المنتوج الزراعي الذي يعد من أهم واردات الدولة.
٣. تشجيع حركة التبادل التجاري الداخلية والخارجية ، فازدهرت التجارة وزادت من موارد الدولة.
٤. إخماد الحركات المناوئة لهم ، وبسط نفوذهم وسلطتهم على اجزاء واسعة من العالم الاسلامي آنذاك حتى شملت رقعة دولتهم بلاد الحجاز والشام وامتد نفوذهم حتى وصل الى العراق في بعض الأحيان.

لم تكن علاقة الدولة الفاطمية على ما يرام مع قوتين رئيستين آنذاك وهما الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الأموية في الاندلس. فكانت حالة الصراع قائمة بينها وبين هاتين القوتين ، وتمثل ذلك بالمواجهات العسكرية أحيانا ، أو المواجهات الفكرية في أحيان أخرى.

أخذت الدولة الفاطمية تتراجع بسرعة كبيرة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، فاستبد الوزراء بالسلطة وأصبح اختيار الخلفاء بأيديهم ، وكان هؤلاء الخلفاء غالباً من الأطفال او الفتيان ، واختلف كثير من الوزراء مع قادة الجيش وولاة الأمصار ورجال القصر فعاشوا في جوٍّ من الفتن والدسائس تاركين الناس يموتون من المجاعة والأوبئة المتفشّية.

استمرت الدولة الفاطمية تنازع حتى ٥٦٧ هـ ، عندما استقل صلاح الدين الأيوبي بمصر بعد وفاة آخر الخلفاء الفاطميين ، وهو العاضد لدين الله (٥٥٥ – ٥٦٧ هـ) وأزال سلطتهم الأسمية بعد ان كانت سلطتهم الفعلية قد زالت منذ عهد الوزير بدرالدين الجمّالي.

٢. الدولة الزنكيـــــــة:

كانـــت الدولـــة الزنكيـــة – والتـــي قامـــت فـــي الموصـــل – دولـــة قويـــة اســـتطاعت ان توحّـــد المســـلمين ، وتقـــف فـــي وجـــه الصـــليبيين نتيجة لسياستها التي تميزت بالآتي:

- إقامة أحكام الشريعة
- تبني سياسة الجهاد الإسلامي للصليبيين.
- طـــرد اللصـــوص وقطّـــاع الطـــرق والقضـــاء علـــيهم ، والتخلص من المفسدين.
- القضاء على الفوضى التي كانت متفشية في البلاد.
- معاملة الحكام لأهل البلاد معاملة حسنة.

وقـد ظهـر فـي هـذه المرحلـة عـدة شخصـيات كـان لهـا الـدور الكبيـر فـي التمهيـد لظهـور عمـاد الـدين زنكـي مؤسـس الدولـة الزنكيـة وابنـه نـور الـدين محمـود وقـد كـان عمـاد الـدين قائـداً محنكـاً مـن دواهـي العصـر فطنـةً وذكـاءاً وحـدة بصـيرة ، إضـافة الـى الشـجاعة الفائقـة ، فبعـد تثبيـت أقدامـه فـي الموصـل التفـت الـى تنفيـذ الشـق الأول مـن خطتـه القاضـية بإنشـاء دولـة

وتوسيعها عن طريق ضمّ الإمارات الإسلامية في الجزيرة وبلاد الشام والمناطق الشرقية وتوحيدها مع إمارة الموصل ، تمهيداً للانتقال إلى الشق الثاني من الخطة ، وهو مجابهة الصليبيين.

استطاع عماد الدين من ٥٢١ – ٥٣٢ هـ من ضمّ سنجار ، حلب ،حماه ، حرّان ، اربل ، الرقة ، دقوقا وحمص الى دولته ، كما دخل بعدها قلعة شهرزور ، ثم توالت فتوحاته وتوسعاته حتى صار الطريق ممهداً لتوجيه ضربة قوية للصليبيين والتي جاءت في عام ٥٣٩ هـ باستيلاء قواته على إمارة الرها ذات المكانة الكبيرة للصليبيين.

نور الدين محمود:

في عام ٥٤١ هـ قُتِلَ عماد الدين زنكي وهو نائم على يد مملوك خائن من مماليكه المكلفين بحراسته تاركاً أربعة أبناء منهم نور الدين محمود وهو من أبرز شخصيات الدولة الزنكية ، إذ تحفل سيرته بجهاد طويل للصليبيين ، والدولة الفاطمية (العبيدية) في سبيل نصرة الإسلام ورفع رايته.

ولد نور الدين محمود في ٥١١ هـ ونشأ في كنف والده فتعلم القرآن والفروسية والرمي ، كان شهماً شجاعاً ، مهتماً بمصالح الرعية ، قام بتحصين بلاد الشام وبنى الأسوار حول مدنها ، كما بنى المدارس والخانات والجامع النوري في الموصل ، كما اتصف بقوة الشخصية والعديد من الصفات

الحميدة التي مكنته من تحقيق ذلك النجاح الباهر في بناء وإدارة هذه الدولة الواسعة واضعاً نصب عينيه أسس سياسة متكاملة تتمثل بتوحيد بلاد الشام ومصر ، وطرد الصليبيين من المنطقة وعلى رأسها بيت المقدس.

من المحطات البارزة في حياة نور الدين محمود ، علاقته بصلاح الدين الأيوبي ، إذ تولّى نور الدين تربيته وكان له بمنزلة الوالد والمعلم ، وعيّنه قائداً للشرطة ثم أرسله مع عمه اسد الدين شيركوه إلى مصر استجابة لطلب وزيرها المساعدة للصليبيين، وبعد انتصار أسد الدين ووفاته ، تولّى صلاح الدين الوزارة في مصر.

نهاية الدولة الزنكية:

في ربيع عام ٥٦٩ هـ كان نور الدين محمود يعدّ العدة لحملة على مصر ، ألا أنه توفي في شوال من العام نفسه بالحمى فكانت وفاته بداية النهاية للدولة الزنكية لأنها أثارت مشكلة تقسيم دولته الواسعة بين ورثته إذ أنه لم يترك سوى أبن في الحادية عشرة من عمره وأبنة صغيرة.

انقسمت دولة نور الدين محمود على ثلاث دويلات تركزت كل منها حول واحدة من المدن الرئيسة ، الموصل وحلب ودمشق ، وبحكم هذا الوضع ظلت مصر معزولة عن بلاد الشام تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي ، وبذلك تحوّلت

الجبهة الإسلامية الموحدة إلى أقسام منفصلة يتربص كل منها بالآخر.

تحالف أمراء دمشق مع الصليبيين بزعامة عموري الأول ملك بيت المقدس مما دفع بصلاح الدين لضمّ بلاد الشام الى مصر بهدف استمرار السياسة التي بدأها عماد الدين زنكي ، وسار عليها نور الدين محمود والتي تقضي بتوحيد كلمة المسلمين والقضاء على الصليبيين.

٣. الدولة الأيوبية (٥٦٩ – ٦٤٨ هـ)

لقد أسَّسَ البطل الإسلامي العظيم صلاح الدين الأيوبي دولة الأيوبيين في سنة ٥٦٩هـ، وظل يحكم هذه الدولة عشرين سنة إلى سنة ٥٨٩ هـ، ووحد في هذه المدة مصر والشام، وتزعم جهاد الممالك الصليبية باقتدار، وحقق عليهم انتصارات هائلة، والتي من أشهرها موقعة حطين الخالدة في ربيع الثاني سنة ٥٨٣هـ، وفتح بيت المقدس بعد حطين بثلاثة أشهر فقط في رجب من السنة نفسها، وترك صلاح الدين الأيوبي دولة قوية عظيمة تبسط سيطرتها على مصر والشام والحجاز واليمن وأعالي العراق وأجزاء من تركيا وأجزاء من ليبيا والنوبة.. وحُصر الصليبيون في ساحل ضيق على البحر المتوسط في الشام.

لكن بوفاة صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تقلص دور جهاد الصليبيين، وتفككت الدولة الأيوبية نتيجة حدوث انقسامات شديدة فيها.

وقد استمر الصراع بين أمراء الأيوبيين نحو ستين سنة متصلة إلى انتهاء الدولة الأيوبية في سنة ٦٤٨هـ، ولم يكن هذا الصراعُ صراعَ كلام وسباب وشقاق فقط.. بل كان يصل إلى حد التقاتل، وإراقة الدماء، وأدى ذلك بالطبع إلى الفُرقة الشديدة، والتشرذم المقيت.

لقد جعل صلاح الدين الأيوبي رحمه الله الجهاد نصب عينيه، وجعل له هدفاً واحداً هو قتال الصليبيين، وإعلاء كلمة الدين، فجمع الله عليه أمره.

أما معظم السلاطين الذين جاءوا من بعده فقد جعلوا الدنيا أكبر همهم، فتفرق عليهم الأمر تماماً، فما عادوا يدركون الصواب من الخطأ، ولا الحق من الباطل، فتارة مع المسلمين، وتارة مع الصليبيين، وتارة مع التتار، فجعل الله (عز وجل) فقرهم بين أعينهم، فمنهم من مات ذليلاً، ومنهم من مات فقيراً، ومنهم من مات طريداً، ومنهم من مات حبيساً..

كان هذا هو واقع المسلمين في معظم الحقبة التي تلت حكم البطل الكبير صلاح الدين الأيوبي ، وفي السنوات العشر الأخيرة من الدولة الأيوبية، وبالتحديد في سنة ٦٣٧هـ، تولى عرش مصر السلطان الأيوبي "الصالح نجم الدين أيوب" أو "الملك الصالح"، والذي يعد من أفضل السلاطين الأيوبيين بعد صلاح الدين.

بعد توليه الحكم استعدّ الأمراء الأيوبيون في الشام لقتاله على خلافة مصر وحدثت بينهم مناوشات وحروب، ووصل الأمر إلى مداه في سنة ٦٤١ هـ عندما توحدت قوى الأيوبيين المتناثرة في الشام، وتحالفت مع الصليبيين لحرب الملك الصالح أيوب وذلك في مقابل أن يتنازل أمراء الشام الأيوبيون عن بيت المقدس للصليبيين.

والحق أن المرء لا يستطيع أن يتخيل كيف قبل أولئك الأمراء أن يتنازلوا عن بيت المقدس للنصارى، والمسلم الصادق لا يتخيل التفريط في أي بقعة إسلامية مهما صغرت، فكيف ببيت المقدس خاصة، والذي به ــ كما يعرف الجميع ــ المسجد الأقصى، والذي حرَّرَهُ جدهم البطل صلاح الدين من أيدي الصليبيين، وأريقت في سبيل تحريره دماء كثيرة، ومرت على المسلمين أوقات عصيبة، وحروب مريرة.

بدأ الزحف باتجاه مصر ، فأعدّ الملك الصالح جيشه وأسند قيادته الى أكفأ قادته وهو ركن الدين بيبرس ودفعت قلة عدد وضعف الجيش المصري بالملك الصالح الى الاستعانة بالجنود الخوارزمية الفارّين من منطقة خوارزم بعد اجتياح التتار لها ، فدارت معركة كبيرة بين جيش الملك الصالح وقوى التحالف الأيوبية – الصليبية ، عرفت باسم معركة غزة في سنة ٦٤٢ هـ ، انتصر فيها الملك الصالح انتصارا باهراً دفعه للاتجاه نحو بيت المقدس الذي تنازل عنه الأيوبيون في الشام

للصليبيين فحرر المدينة المباركة سنة ٦٤٣ هـ ، ولم يستطع جيش نصراني ان يدخلها ابداً سبعة قرون كاملة الى ان دخلته الجيوش البريطانية في الحرب العالمية الأولى في ١٦ / ١١/ ١٩١٧ م .

أكمل الملك الصالح طريقه فدخل دمشق ووحد مصر والشام من جديد ، وحرر قسم من المدن العربية الاسلامية الواقعة تحت السيطرة الصليبية مثل طبريّة وعسقلان وغيرها.

الا ان خيانة الفرقة الخوارزمية وانضمامها لجيش الأمراء الأيوبيين في الشام ترك الملك الصالح يقاتل بجيشه الأساسي الذي أتى به من مصر وعلى رأسه قائده بيبرس مما جعله يعتمد على طائفة جديدة من الجنود بدلاً منها ، وهؤلاء هم المماليك.

٤. الدولـــة المملوكية:

كـــان المصـــدر الـــرئيس للمماليـــك إمّـــا بالأســـر فـــي الحـــروب، وإمـــا الشـــراء مـــن أســـواق النخاســـة ، كمـــا كـــانوا مـــن أصـــول مختلفـــة كالعنصـــر التركـــي (بـــلاد مـــا وراء النهـــر) أو الأرمنـــي ، او المغولي ، أو الأوربي (الصقالبة).

بـــرز دور المماليـــك فـــي معركـــة المنصـــورة حـــين تمكّـــن الصـــليبيون مـــن التقـــدّم نحوهـــا ودخولهـــا ، إلا ان المماليـــك تصـــدوا لهـــم وألحقـــوا بهـــم هزيمـــة نكـــراء حتـــى ان ملكهـــم لـــويس التاســـع نفســـه وقع أسيراً بأيديهم وذلك عام ٦٤٨ هـ.

بعـــد وفـــاة الملـــك الصـــالح أيـــوب تـــم تنصـــيب أبنـــه تـــوران شـــاه علـــى العـــرش ولكنـــه قتـــل بعـــد أشـــهر لتتـــولى زوجـــة أبيـــه شـــجر الـــدر شـــؤون الحكـــم ثـــم مـــا لبثـــت أن تزوجـــت أحـــد قـــادة المماليـــك المعـــروف باســـم عـــز الـــدين أيبـــك الـــذي أصـــبح ســـلطاناً علـــى مصـــر ولقـــب بـــ (الملـــك المُعـــزّ) وبـــذلك وصـــل المماليـــك الـــى حكـــم مصـــر خلفاً للأيوبيين.

بعـــد وفـــاة عـــز الـــدين أيبـــك ، يبـــرز علـــى مســـرح الأحـــداث مملـــوكي آخـــر هـــو قائـــد الجـــيش المـــدعو ســـيف الـــدين قطـــز والوصي على السلطان الصغير السن ابن عز الدين أيبك.

نظـــراً لصـــغر ســـن الســـلطان فقـــد أصـــبح ســـيف الـــدين قطـــز الحـــاكم الفعلـــي لمصـــر ومـــا لبـــث أن قـــام بعـــزل الســـلطان الصـــغير وإعـــلان نفســـه ســـلطاناً مكانـــه لمواجهـــة الأخطـــار المحدقـــة بمصـــر

سواء منها الداخلية المتمثلة بالقادة المماليك المتنازعين على الحكم ، أم الخارجية المتمثلة بتهديد التتار لمصر لاجتياحها بعدما أسقطوا الخلافة الاسلامية ودمروا بغداد واجتاحوا الشام.

بدأ التجهيز للمعركة التي وقعت في رمضان سنة ٦٥٨ هـ بين الجيش التتري بقيادة كتبغا نائب هولاكو وبين الجيش المسلم بقيادة السلطان سيف الدين قطز في عين جالوت ، أنتصر فيها المسلمون انتصاراً ساحقاً وكان يوماً على الكافرين عسيراً قتل فيه كتبغا وفرّ المتبقون من جيشه نحو بيسان ، الا ان المسلمين لاحقوهم لتدور موقعة أخرى هناك انتصر فيها المسلمون ايضاً وقضوا تماماً على أسطورة الجيش المغولي الذي لا يقهر.

أسئلة الفصل الثالث

س١/ إملأ الفراغات الآتية بما يناسبها:

١. قامت الدولة الرستمية سنة..... في ..... وتنسب الى مؤسسها.....

٢. حاول الرشيد إيقاف نفوذ الادارسة فأختار صديقاً له يدعى..... وولاه على ..... وبذلك وقى الدولة العباسية شر غزوات .....

٣. تأسست الدولة السامانية سنة ..... وتنسب الى مؤسسها .....

٤. انقسمت دولة نور الدين محمود الى ثلاث دويلات تركزت في.....، .....، .....

س٢/ علل ما يأتي:

١. استقلال بعض الدول عن الخلافة العباسية.

٢. نشأة بعض الدويلات في أجزاء من الدولة العباسية.

٣. قيام دولة اموية في الاندلس.

س٣/ اختر الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

١. في أيام الخليفة الهادي قامت ثورة علوية في الحجاز هل هم:

- الاغالبة -الطاهريون - الادارسة

٢. قامت الدولة الزنكية في:

- مصر - المغرب - الموصل

س٤/ اجب عما يأتي:

١. كيف استطاع عبد الرحمن بن معاوية بن هشام من بناء دولة اموية خارج نطاق الدولة العباسية؟

٢. ما الدور الذي قام به ادريس بن عبد الله بن الحسن؟

٣. من هو مؤسس الدولة الطاهرية؟ وكيف استطاع تأسيس دولته؟

٤. تحدث باختصار عن قيام الدولة الفاطمية في مصر موضحاً اهم اعمالها.

٥. سلط الضوء على شخصية صلاح الدين الايوبي من خلال حديثك الموجز عن الدولة الايوبية.

٦. من هم المماليك؟ وكيف وصلوا الى الحكم؟

الفصل الرابع

أشهر الحركات الدينية والسياسية التي قامت بوجه الدولة العباسية

أولاً : الخـــوارج

ثانياً : ثورات قامت في بلاد المشرق

١. ثورة سنباذ وأسحاق الترك

٢. الـراونـديـة

٣. المُقَنَّعيّة والخُرَّميّة

ثالثاً : حركة الزندقة

رابعاً : ثورة محمد وإبراهيم في الحجاز والعراق

خامساً : ثورة صاحب الزنج

نواتج التعلم

بعد انتهاء الفصل الرابع يكون الطالب قادراً على ان:

١. يشرح ثورة الخارجي مساور بن عبد الحميد في عهد المستعين والمعتمد.

٢. يوضح صراع الخوارج مع الفاطميين في المغرب.

٣. يوضح صراع الخوارج مع العباسيين في اليمن وعمان.

٤. يعرف سنباذ.

٥. يبين مبادئ وأفكار سنباذ واتباعه.

٦. يشرح ثورة سنباذ وقضاء جيش المنصور عليها.

٧. يعرف ثورة إسحاق الترك.

٨. يعرف الحركة الراوندية.

٩. يوضح مبادئ الراوندية.

١٠. يبين علاقة الراوندية بابي جعفر المنصور.

١١. يعرف المُقَنّع.

١٢. يشرح مبادئ المقنعية.

١٣. يبين كيفية التخلص من المقنع واتباعه.

١٤. يعرف حركة بابك الخرمي.

١٥. يوضح المقصود بـ (الزندقة) بأختلاف العصور.

١٦. يبين موقف الخليفة المهدي والهادي والرشيد من الزنادقة.

١٧. يبين موقف العلويين من الدعوة العباسية.

١٨. يذكر اول الخارجين من البيت العلوي على العباسيين .

١٩. يشرح الخطوات التي اتخذها المنصور للقضاء على محمد ذو النفس الزكية واخيه إبراهيم.

٢٠. يعرف صاحب الزنج .

٢١. يعلل خروج الزنج على الخلافة العباسية.

٢٢. يعدد المناطق التي انضمت لثورة الزنج؟

٢٣. يبين موقف الخليفة المهتدي والمعتمد من ثورة الزنج.

٢٤. يشرح المواجهة العسكرية بين جيش الخلافة وصاحب الزنج.

الفصل الرابع

أولاً : الخـــوارج

أقلــق الخــوارج الخلفــاء العباســيين علــى مــرّ عصــور الدولــة العباســية ولــم يقتصــر ظهــورهم علــى بلــد بعينــه ، بــل مارســوا نشــاطهم فــي المشــرق والمغــرب ، ففــي الموصــل قــاموا بالعديــد مــن الثــورات مــن حــين الــى آخــر ، فتــذكر المصــادر انــه فــي ســنة ٢٥٢ هــ خــرج مســاور بــن عبدالحميــد البجلــي علــى واليهــا فــي عهــد الخليفــة المســتعين وهــزم الجيــوش العباســية عــدة مــرات هنــاك وإســتولى علــى أكثــر اعمــال الموصــل ، وفــي ٢٥٧ هــ أرســل الخليفــة المعتمــد جيوشــه بقيــادة مفلــح الــذي إســتطاع ان ينتصــر علــى مســاور البجلــي فــي البدايــة ولكــن مــا لبــث ان ثبــت لــه مساور حتى انهك قوته وأجبره على العودة الى سامراء .

إســتقر الخــوارج فــي الموصــل وإنتقلــت الزعامــة فــيهم بــين عــدد مــن قــادتهم وتمكّنــوا مــن التصــدي لكــل مــن واجههــم علــى مــر الســنين حتــى تمكّــن عامــل الخليفــة المعتضــد علــى الموصــل فــي عــام ٢٨٢ هــ مــن الانتصــار عليــه فــي الســنة التاليــة وســاقه الــى حاضرة الخلافة .

ضــعف أمــر الخــوارج فــي الموصــل ولكــنهم ظلــوا يقلقــون العباســيين فــي الــيمن وعمــان حيــث اســتطاعوا فــي ســنة ٤٤٢ هــ

الأستيلاء على مدينة عُمان حاضرة البلاد هناك وأقصوا عمّال البويهيين عنها .

أما في المغرب فقد سببوا القلق للفاطميين ، إذ إشتدّ نفوذهم بزعامة أبي يزيد مخلّد بن كيداد الذي راجت دعوته في نهاية عهد عبيد الله الفاطمي (٢٩٦ – ٣٢٢ هـ) وتفاقم خطره في عهد القائم ، وإنتشرت جيوشه في كل أرجاء الدولة الفاطمية سنة ٣٣٣ هـ ، وكاد يستولي على مدينة المهدية حاضرة الفاطميين آنذاك ، ولم يستطع الفاطميون الأنتصار عليه إلا في عهد الخليفة المنصور الفاطمي (٣٣٤ – ٣٤١ هـ) إذ تم القبض عليه وسيقَ الى المهدية حيث مات متأثراً بجراحه في سنة ٣٣٦ هـ .

ثانياً : ثورات قامت في بلاد المشرق

عانت الدولة العباسية على مرّ عصورها من العديد من الثورات التي قامت بها شخصيات او طوائف نشأت في بلاد فارس ، كانت في عمومها ذات طابع ديني وسياسي واجتماعي مناقض للشريعة الاسلامية ، تجمعها أهداف موحدة تتمثل في القضاء على الدين الاسلامي وعلى السلطان العربي ، وإن اختلفت في شعاراتها التي رفعتها للثورة على الحكم العباسي .

يمكن تصنيف هذه الثورات حسب شعاراتها الى :

١. ثورة سنبـــاذ و أسحاق الترك :

قامـــت هاتـــان الثورتـــان كـــرد فعـــل علـــى مقتـــل أبـــي مســـلم الخراســـاني ، إذ تـــذكر الروايـــات أن ســـنباذ هـــذا كـــان مـــن أهـــل قريـــة مـــن قـــرى نيســـابور فـــي خراســـان وقـــد ثـــار ســـنة ١٣٧ هـــ غضـــباً لمقتل أبي مسلم ، وتشير الى انه كان مجوسياً أو مزدكياً .

ألتـــفّ حولـــه عـــدد كبيـــر مـــن طوائـــف الخرّميّـــة والمزدكيّـــة إضـــافة الـــى أهـــل طبرســـتان التـــي كانـــت مجوســـية حتـــى ذلـــك الوقـــت وكـــان عامـــة أصـــحابه مـــن مقاطعـــة الجبـــال (غـــرب فـــارس) مـــن الفلاحـــين ، ســـار بهـــم وإحتـــل نيســـابور ثـــم الـــري وإســـتولى علـــى قـــومس وتقـــدّم الـــى همـــذان فأرســـل لـــه المنصـــور جيشـــاً كبيـــراً بقيـــادة جهور بن مرار العجلي فقتل سنباذ وهزم جيشه .

حملـــت هـــذه الثـــورة روحـــاً قوميـــة وجـــدت فـــي أبـــي مســـلم رمزهـــا ، أي أن الهـــدف كـــان مناهضـــة الحكـــم العربـــي الإســـلامي ، ويـــدل علـــى هـــذا ان ســـنباذ بشّـــر اتباعـــه بنهايـــة الســـلطان العربـــي وأعلـــن انه يريد الذهاب الى الحجاز وهدم الكعبة .

أمـــا الثـــورة الثانيـــة فقـــد قادهـــا احـــد دعـــاة ابـــي مســـلم وكـــان يـــدعى اســـحاق التـــرك وسُـــمّيَ بـــذلك لأن أبـــا مســـلم ارســـله للـــدعوة فـــي بـــلاد التـــرك ، فلمـــا قُتِـــلَ أبـــو مســـلم ثـــار اســـحاق التـــرك فـــي بـــلاد مـــا وراء النهـــر ، وإدّعـــى ان أبـــا مســـلم محبـــوس وأنـــه ســـيخرج فـــي وقـــت معـــين ، فجمـــع حولـــه المُبَيِّضـــة (حـــزب أبـــي مُســـلم) وقـــام بثورتـــه إلا ان والي خراسان قبض عليه وقتله .

٢. الراوندية:

وهي حركة ظهرت في بلاد فارس قبل مجيء أبي مسلم الخراساني أليها وإستمدّت تعاليمها من الفكرة السائدة لدى أهل فارس قبل الإسلام بأن ملوكهم مقدسون ويجعلونهم في مصاف الآلهة ، وقد ظهرت الراوندية بتأثير الدعوة العباسية هناك إذ نظروا الى العباسيين بنفس النظرة السائدة سابقاً ، فيذكر الطبري أن اتباعها كانوا من أهل خراسان ويقولون بتناسخ الأرواح ويزعمون أن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور .

لم يرَ المنصور بدّاً من أن يضرب على أيدي هؤلاء لخروجهم على الدين والدولة وإعتبرهم زنادقة ، يرون ان تعود المجوسية أو شكل من أشكالها فعاملهم كما عامل أبا مسلم وقتلهم شر قتلة ، ألا انه برغم ذلك لم يستطع أن يقضي عليهم تماماً فظهروا في صور مختلفة نراها في ثورات مثل ثورة المقنّع الخراساني ، وبابك الخرّمي وغيرهما .

٣. المقنّعيّة والخُرَّميّة :

يشترك صاحبا الحركتين بإدّعائهما الألوهية ، فالأول أي المُقَنَّع ظهر في عهد الخليفة المهدي (١٥٨ – ١٦٩ هـ) بخراسان وكان رجلاً قبيح الخلقة ، اعور قصيراً ، عمل لنفسه وجهاً من ذهب وركّبهُ على وجهه ، قائلاً أن الله خلق آدم فتحول في صورته ، وهكذا ظلّ يتحول من

صورة الى أخرى حتى انتقل إليه ، فأسقط الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأباح للناس الأموال والنساء ، كما أباح تعاليم مزدك فعبده الناس وسجدوا له .

قَوِيَ أمر المقنّع وكثر أنصاره وإنضمَّ إليه أهل بخارى وسمرقند والأتراك حول بحر قزوين وإعتصم بقلعة حصينة في مدينة كش ، فأرسل إليه المهدي سبعين الف مقاتل بقيادة معاذ بن مسلم فحاصره حتى ضجر اتباعه وطلب أكثرهم الأمان وبقي في القلعة مع نفر يسير من اتباعه ، فلما شعر بالهزيمة أشعل النار بالقلعة وشرب هو ونساؤه وأولاده وأتباعه شراباً مسموماً ثم ألقوا بأنفسهم في النار خوفاً من أن يظفر أعداؤه به أو بهم وذلك سنة ١٦٩ هـ ، فإرتاح المهدي من شرهم .

ولكن موته لم يضع حدّاً لتعاليمه التي إعتنقها نفر من بلاد ما وراء النهر وتركستان ، مدّعين ان المقنع كان الهاً ، وإنه تصوّر في كل زمان بصورة خاصة .

أما طائفة الخُرَّميّة فقد أسسها مَزْدَك في أيام أنو شروان ، ومن هذه الطائفة نشأت الخرمية البابكية التي تنسب الى بَابَك ، وقد إدّعى هذا الأخير الألوهية أيضاً كالمقنّع وعكّر صفو الدولة العباسية في أيام المأمون وتفاقم أمره أيام المعتصم وقلق أهل بغداد منه إذ دخلت أذربيجان تحت حوزته ، وأعانه ملك ارمينية وأمبراطور الدولة البيزنطية ، مما يدل بوضوح على البعد السياسي والديني لهذه الحركات التي يساندها أعداء

الدولة الاسلامية ، فإنتشرت جيوشه وسيطر على مدن وقرى ، وأخذ بالتمثيل بالناس والحرق بالنار والأنغماس في الفساد وقلة الرحمة وهزم جيوشاً كثيرة للسلطان وقتل عدة قواد ، الا ان المعتصم تمكن بالنهاية من القضاء عليه .

ثالثاً: حركة الزندقة

كانت أشد الثورات بأساً وأكثرها خطراً في العصر العباسي الأول ، هي ثورات الزنادقة وهؤلاء كانت تعاليمهم مناقضة لتعاليم الإسلام وعقائده وتقوم على انواع من الديمقراطية الفاسدة التي تبيح المحرمات وتعبث بالقيم الاجتماعية وتعرّض الحياة السياسية والاجتماعية للخطر .

إختلف معنى الزندقة بإختلاف العصور وكان اللفظ في أول الامر يطلق على كل من يتأثر بالفرس في عاداتهم ويسرف في العبث والمجون ، ثم صار يطلق على كل من يتمسك بعقيدة الثنوية ، أي عبادة إلهين إثنين (النور والظلمة) بحسب تعاليم ماني ، وكان العرب يطلقون هذه اللفظة على من ينفي وجود الله سبحانه أو يقول أن له شريكاً .

ظهرت الزندقة بعد قيام الدولة العباسية وإنتشرت حتى سرت الى بيوت الوزراء والشعراء ، فتعقّبها بعض الخلفاء العباسيين وأولهم المهدي الذي أنشأ ديواناً وعهد به الى رجل اطلق عليه (صاحب الزنادقة) ومهمته تتبعهم والقضاء عليهم ، ولم يكتفِ المهدي بمواجهتهم في عهده بل أوصى أبنه

الهـــادي بتتـــبعهم مـــن بعـــده ، فلمـــا ولـــي الخلافـــة إشـــتدَّ علـــى الزنادقـــة وقتـــل عـــدداً كبيـــراً مـــنهم ، كمـــا عـــيَّنّ الرشـــيد رجـــلاً عُـــرِفَ بصـــاحب الزنادقـــة فكـــان يمـــتحن كـــل مـــن يـــتهم بالزندقـــة ويعاقـــب مـــن تثبـــت عليـــه ، ومـــع ذلـــك بقيـــت الزندقـــة بعـــد عصـــر الرشـــيد حتـــى تســـرّبت الـــى بـــلاط المعتصـــم الـــذي كـــان قائـــده الأفشـــين يـــدين بعقائد المانوية .

رابعاً: ثورة محمد وإبراهيم في الحجاز والعراق

همـــا محمـــد وابـــراهيم إبنـــا عبـــدالله بـــن الحســـن بـــن الحســـن بـــن علـــي بـــن أبـــي طالـــب (رضـــي الله عنـــه) ، وعُـــرِفَ محمـــد بـــ (ذو النفس الزكية) .

كـــان موقـــف العلـــويين مـــن الخلافـــة مختلفـــاً بحســـب الظـــروف ، فـــإذا وجـــدوا الفرصـــة ســـانحة لإعمـــال الســـيف وإســـتخدام القـــوة إغتنموهـــا ، وإذا آنســـوا مـــن أنفســـهم ضـــعفاً إســـتكانوا مكتفـــين بلقـــب الإمامـــة وقـــرابتهم مـــن النبـــي (صـــلى الله عليـــه وســـلم) وآثـــروا المعيشـــة الهادئـــة والإشـــتغال بالتجـــارة والإنصـــراف إلـــى الـــدين ، وهـــذا كـــان حـــالهم حـــين ظهـــرت الـــدعوة العباســـية ورفعـــت شـــعار (الرضـــا لآل البيـــت) ، وظفـــر العباســـيون بالخلافـــة ، حينهـــا اعتبـــروا ان العباســـيين خـــدعوهم وإســـتأثروا بالخلافـــة دونهـــم فنابـــذوهم العـــداء ونظـــروا الـــيهم كمـــا كـــانوا ينظـــرون إلـــى الأمـــويين من قبل .

كان أول الخارجين من العلويين في أيام العباسيين هما محمد وأخوه إبراهيم ، على الرغم مما بذله العباسيون في سبيل إسترضائهم كإجزال العطايا ، إلى لين القول غير ان ذلك لم يجدهم نفعاً ، إذ إمتنع محمد عن مبايعة السفاح في الحجاز وكذلك تخلّف هو وأخوه إبراهيم عن البيعة للمنصور ، فرأى فيهما خطراً يهدد كيان دولته فعمل على التخلص منهما ، فأوعز إلى عاملة على المدينة زياد بن عبدالله بطلب محمد وأخيه إبراهيم ، ولما فشل في ذلك عزله وحبسه ، ثم كلّف بديله ففشل هذا الآخر ، فأرسل رياح بن عثمان الى المدينة سنة ١٤١ هـ ، فإنتهج هذا الوالي أساليب الترهيب والوعيد والسجن لأفراد بيتهما ، حتى يجبرهما على الظهور وكان محمد آنذاك مستخفياً في المدينة ، وإستمر الحال كذلك حتى سنة ١٤٥ هـ حين إضطر للظهور بعد إلحاح أتباعه عليه بالخروج ، وإعتقاده أن الناس قد جمعوا على نصرته من خلال الكتب التي كانت تأتيه من الأمصار المختلفة ولم يدرِ أن هذه حيلة دبّرها المنصور لدفعه الى الظهور .

أما أخوه إبراهيم فقد إتّجه إلى البصرة مرسلاً من قبل أخيه محمد ذو النفس الزكية ، فتمكن من جمع الانصار هناك وإستولى على دار الإمارة وهزم قوات المنصور ، ولم يزل إبراهيم يوالي إنتصاراته حتى أتاه خبر مقتل أخيه محمد في

المدينة فتفرغ المنصور وجيوشه لقتال ابراهيم في البصرة وتم بالفعل قتله هو الآخر والقضاء على ثورتهما .

خامساً: ثورة صاحب الزنج

أثار الزنج وهم طائفة من عبيد إفريقية القلق والرعب في حاضرة الخلافة العباسية، وكان مسرح هذه الثورات الجامحة العنيفة التي دامت أكثر من أربع عشرة سنة، هذه المستنقعات الممتدة بين البصرة وواسط، وانضمت إليهم جماعات من العبيد الهاربين من القرى والمدن المجاورة تخلصاً من حالتهم، وكانوا لا يتقاضون من الأجر شيئاً، بل كانوا يقتاتون بقليل من الدقيق والتمر والسويق، مما جعلهم إزاء هذه الحالة الاقتصادية والاجتماعية السيئة على أتم الاستعداد للخروج على ولاة الأمر فيهم.

وقد قاد هؤلاء الزنوج رجل فارسي يسمى علي بن محمد من أهالي الطالقان، ادعى أنه من ولد علي زين العابدين بن الحسين بن علي، كما ادعى أن العناية الإلهية قد أرسلته لإنقاذهم مما كانوا يعانونه من بؤس

ومهما يكن من شيء فإن صاحب الزنج لم يلبث أن كشف عن ميوله الحقيقية، حتى إن أعداءه سموه دعي علي، كما سموه الخبيث.

سار صاحب الزنج سنة ٢٤٩ هـ الى البحرين ولقيت دعوته قبولاً بين اهالي هجر والبحرين ، ثم سار الى بغداد سنة ٢٥٤ هـ واقام فيها سنة وسرعان ما توجّه الى البصرة فأنظمّ اليه الزنج هناك ايضاً مصدقين وعوده الكاذبة بإطلاق حرياتهم وإستمتاعهم بالأموال التي سيغنمونها في حروبهم التي عاثوا بها في الأرض فساداً ، وحتى الحجّاج لم يسلموا من أذاهم فقد قطعوا طريقهم الى مكة ، وشكا الناس الى الخليفة المهتدي (٢٥٥ – ٢٥٦ هـ) فأرسل اليهم أحد قواده الاتراك ، وإستمر أذاهم في عهد المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩ هـ) فسيّر اليهم عدداً من قادته المشهورين وعلى الرغم من قتلهم لعدد كبير من أتباعه الا ان الهزيمة لم توقفهم ، فأرسل المعتمد أخاه أحمد الموفق لقتالهم فتمكن في سنة ٢٦٧ هـ من هزيمة فريق كبير منهم وأسر بعضهم وإستمر في قتالهم حتى تمكن من قتل زعيمهم الخبيث واستسلم الكثير من اتباعه وذلك سنة ٢٧٠ هـ.

أسئلة الفصل الرابع

س١/ إملأ الفراغات الآتية بما يناسبها:

١. قامت ثورات في بلاد المشرق على يد شخصيات وطوائف ذات طابع ..... ونشأت في بلاد ..... وتجمعها اهداف موحدة تتمثل في القضاء على .....

٢. ظهرت الراوندية في بلاد ..... واستمدت تعاليمها من فكرة سائدة مفادها .....

٣. قاد الزنج في ثورتهم رجل فارسي يدعى ..... من أهالي ..... ويدعي انه من أولاد .....

٤. سار صاحب الزنج بثورته في بلاد البحرين سنة .....

س٢/ علل ما يأتي:

١. مقتل ابي مسلم الخراساني.

٢. تجهيز المنصور جيشاً بقيادة جهور بن مرار.

٣. ثورة إسحاق الترك.

س٣/ اجب عما يأتي:

١. تحدث بايجاز عن حركة الخوارج، وأين ظهروا، مع بيان ابرز نشاطاتهم.

٢. بأي صفة تشترك المقنعية والخرمية، وما هدف هاتين الحركتين؟

٣. ما الزندقة؟ وما أبرز أهدافها؟ وكيف تم القضاء عليها؟

٤. تحدث بإيجاز عن ثورة محمد ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم.

الفصل الخامس

النظم الحضارية في العصر العباسي

أولاً: نظام الخلافــة

ثانياً: نظام الوزارة

ثالثاً: نظام الدواوين

رابعاً: النظام الاقتصادي

خامساً: الحجابة

سادساً: الشرطة

سابعاً: نظام القضاء

ثامناً: الحسبة

تاسعاً: الحياة الاجتماعية

عاشراً: الحركة العلمية

نواتج التعلم

بعد انتهاء الفصل الخامس يكون الطالب قادراً على أن:

١. يعرف (الخلافة).

٢. يعدد عصور وحقب التاريخ العباسي.

٣. يعدد مميزات الخلافة في العصر العباسي الأول.

٤. يوضح وضع نظام الخلافة في حقبة النفوذ التركي.

٥. يشرح وضع نظام الخلافة في حقبة النفوذ البويهي.

٦. يشرح وضع نظام الخلافة في حقبة النفوذ السلجوقي.

٧. يبين التطور التاريخي لنظام الوزارة.

٨. يعرف وزارة التفويض.

٩. يعرف وزارة التنفيذ.

١٠. يعرف الديوان.

١١. يوضح الدواوين التي استحدثت في العصر العباسي واختصاصاتها.

١٢. يبين اسهامات العباسيين في الميدان الزراعي.

١٣. يوضح اهتمام العباسيين بالصناعة وتطويرهم لها،

١٤. يعلل النشاط التجاري للمجتمع العباسي.

١٥. يبين واردات الدولة المالية ومصروفاتها.

١٦. يعرف الحجابة.

١٧. يبين التطورات التي طرأت على الحجابة في العصرين العباسيين الأول والثاني.

١٨. يوضح المقصود بـ (الشرطة).

١٩. يوضح شروط صاحب الشرطة.

٢٠. يبين حاجة الدولة الإسلامية لمؤسسة القضاء.

٢١. يوضح التنظيمات المستجدة في مؤسسة القضاء في العصر العباسي.

٢٢. يعرف نظام الحسبة.

٢٣. يعرف ديوان النظر في المظالم في العصر العباسي.

٢٤. يوضح الحالة الاجتماعية لطبقات المجتمع العباسي.

٢٥. يعلل ازدهار الحركة العلمية في العصر العباسي.

٢٦. يعدد اهم المؤلفات في علوم اللغة.

٢٧. يعدد أشهر المؤرخين والجغرافيين ومؤلفاتهم.

٢٨. يعلل تقدم علوم الطب والصيدلة في العصر العباسي.

٢٩. يعدد أشهر المترجمين في العصر العباسي.

٣٠. يعرف الرازي.

٣١. يعرف ابن سينا.

الفصل الخامس

شهد العصر العباسي تطوراً كبيراً في مجالات النظم الحضارية على المستويين الرسمي والشعبي، وهذا الفصل خُصص لدراسة أهم هذه النظم بحسب أهميتها:

أولا: نظام الخلافة

هي مهمة دينية ودنيوية وهي قوام سياسة الدولة، والخليفة إمامُ المسلمين ورئيس أعلى لهم، وقائدٌ أعلى للجند. ونستطيع أن نقسم العصر العباسي من ناحية نظام الخلافة على حقبتين:

الأولى: العصر العباسي الأول ويسمى العصر الذهبي، ويبدأ من التأسيس ١٣٢هـ إلى أن سيطر الأتراك على مقاليد الحكم ٢٤٧هـ، فكان أغلب الخلفاء أقوياء وبيدهم السلطة والنفوذ.

الثانية: العصر العباسي الثاني (المتأخّر) ويبدأ من ٢٤٧هـ إلى احتلال بغداد عام ٦٥٦هـ ويشمل أربع حقب:

- حقبة النفوذ التركي (٢٤٧- ٣٣٤هـ)
- حقبة التسلط البويهي (٣٣٤- ٤٤٧هـ)
- حقبة السيطرة السلجوقية (٤٤٧-٥٩٠هـ)
- حقبة انتعاش الخلافة (٥٩٠-٦٥٦هـ) التي انتهت بهجوم المغول على بغداد.

مميزات الخلافة في العصر العباسي الأول:

- كانت السلطة بيد الخلفاء، ولهم القوة والنفوذ، فهو عصر الخلافة العباسية الذهبي.
- استمر نظام ولاية العهد على مبدأ الوراثة.
- سار العباسيون على مبدأ تولية العهد لأكثر من واحد، وكان له آثار سلبية على مؤسسة الخلافة.

الخلافة في حقبة النفوذ التركي:

كان لاستقدام الأتراك وإدخالهم سلك الجندية وتقريبهم آثار سيئة في نظام الخلافة لأن الأتراك عناصر غير متحضرة ولم يكن لديهم إدراك بالسياسة والإدارة.

برز نفوذهم بشكل واضح حين استخلف الواثق ففوض السلطة إلى القائد أشناس.

الخلافة في حقبة التسلط البويهي:

حذا البويهيون حذو الأتراك فصاروا يستهينون بالخليفة ويعاملونه معاملة لا تليق به واستأثروا بالسلطة دونه فلم يبق له إلا الخطبة والسكة، وبعض الأراضي.

حقبة السيطرة السلجوقية:

استنجد الخليفة العباسي القائم بطغرل السلجوقي بعد أن تدهور نفوذ البويهيين، وهكذا حل النفوذ السلجوقي محل التسلط البويهي.

كان السلاجقة يعترفون بحق العباسيين في الحكم بعكس البويهيين ومع ذلك كانت حالة الخلفاء العباسيين لا تختلف كثيرا عما كانت عليه أيام البويهيين.

كان السلاجقة يحترمون الخليفة أكثر من البويهيين وارتبط البيت العباسي مع السلاجقة برباط المصاهرة حيث تزوج طغرل من ابنة الخليفة القائم وتزوج الخليفة المقتدي من ابنة السلطان ألب أرسلان.

ثانياً: نظام الوزارة

لم تظهر الوزارة منصباً رسمياً في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا في الدولة الأموية، إذ اتخذ الخلفاء الأمويون المستشارين ، أما في الدولة العباسية فأصبحت الوزارة منصبا رسميا منذ عهد الخليفة الأول عبد الله السفاح كما قال صاحب كتاب الفخري (الفخري في الاحكام السلطانية):

"والوزارة لم تتمهد قواعدها إلا في دولة بني العباس ...." ، فأصبحت مؤسسة مهمة ومركزية في الدولة، وارتفعت مكانة الوزير وأصبح في المرتبة الثانية بعد الخليفة وتطورت الوزارة وأصبحت نوعين:

١. **وزارة التفويض:** أحد نوعي الوزارة التي نشأت في العصر العباسي، يعهد فيها الخليفة بالوزارة إلى رجل يفوض إليه النظر في أمور الدولة والتصرف في شؤونها بلا رجوع للخليفة مثل (النظر في المظالم وتعيين الولاة وتسيير الجيوش وتدبير الحروب والتصرف بأموال بيت المال) ولكن عليه أن يطلع الخليفة فيما بعد على كل قرار اتخذه فيقبله أو يبطله ويسمى هذا النوع من الوزارة بوزارة السيف. مثال على ذلك وزارة آل برمك في عهد الخليفة هارون الرشيد.

٢. **وزارة التنفيذ:** يتولى فيها الوزير تنفيذ ما يطلبه منه الخليفة وهو بمثابة واسطة بين الخليفة والرعية أو الولاة ويسمى هذا النوع من الوزارة بوزارة القلم.

شـــروط الوزارة:

- الحرية مطلوبة في وزارة التفويض وغير مطلوبة في وزارة التنفيذ.
- الإسلام مطلوب في وزارة التفويض وغير مطلوب في وزارة التنفيذ.
- العلم بالأحكام الشرعية مطلوب في وزارة التفويض وغير مطلوب في وزارة التنفيذ.
- المعرفة بأمري الحرب والخراج (الضرائب) مطلوبة في وزارة التفويض وغير مطلوبة في وزارة التنفيذ.

صلاحيات ومهمات الوزارة:

* يجـــوز لـــوزير التفـــويض النظـــر فـــي المظـــالم ولا يجـــوز لـــوزير التنفيذ.
* يجوز لوزير التفويض تعيين الولاة ولا يجوز لوزير التنفيذ.
* يجـــوز لـــوزير التفـــويض تســـيير الجيـــوش وتـــدبير الحـــروب ولا يجوز لوزير التنفيذ.
* يجـــوز لـــوزير التفـــويض التصـــرف بـــأموال بيـــت المـــال ولا يجـــوز لوزير التنفيذ.

يحق للخليفة أمور لا لوزير التفويض منها:

- عزل ولاة الوزير.
- قبول وإبطال عمل الوزير.
- إقالة الوزير.

ولا يحق لوزير التفويض مخالفة أمر الخليفة أو ولي العهد.

ثالثاً: نظام الدواوين

اختلف الكثير في أصل كلمة (ديوان)، فمنهم من ردها لموضوع التدوين أي التسجيل ويقولون إن أصلها عربي.

إن الديوان بمفهومه المتعارف عليه قد نشأ في عهد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وسبب ذلك هو كثرة الأموال الواردة من البلاد المفتوحة ورغبة الخليفة الثاني في تنظيم توزيعها.

أما في العصر الأموي فقد ازداد عددها وتطورت بتطور الحاجة إليها وكانت لغة الدواوين في العراق تكتب بالفارسية، ولغتها في بلاد الشام بالرومية، ولغتها في مصر بالقبطية وظلت هكذا حتى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

وديوان مصر لم يعرب إلا في سنة ٨٧هـ في عهد خلافة الوليد بن عبد الملك.

الدواوين في العصر العباسي: –

ورث العباسيون نظام الدواوين عن الأمويين فطوروه بحسب تطور ظروفهم، ويذكر أن العباسيين أضافوا ديوان (الأحشام) وهو على ما يبدو من اسمه أنه يعني بشؤون خدمة البلاط، هذا في عصر المنصور. كما أضاف المنصور ديوان (المصادرة) الذي ينظر بمن صودرت أموالهم. ويذكر أن ديوان (المصادرة) قد ألغي في عهد المهدي الذي يتصف عهده بالهدوء النسبي، ومع ذلك استحدث المهدي (ديوان الزمام) ، وقد انتشر هذا النوع من الدواوين في كل الولايات. وقد سن المهدي يومي الخميس والجمعة عطلة أسبوعية لموظفي الدواوين (إدارات الدولة).

وقد استحدث الرشيد ديوان (الصوافي) وهو يعني بأراضي الرشيد وهي أراضي الدولة الإسلامية وبصفته خليفة للمسلمين فهي أراضٍ تابعة له. كما استحدث ديوان (الضياع) وهي ضياع كثيرة منتشرة في كل أصقاع الدولة الإسلامية ومسجلة باسم الخليفة وأسرته.

أما المأمون فقد أنشأ ديوان (الجهبذة) وهو ديوان يدقق بشؤون عمل الدواوين الأخرى، يجلس فيه أقوى الرياضيين (المحاسبين) يتتبعون الأموال من قبضها حتى صرفها.

أمـــا المتوكـــل فأنشـــأ ديـــوان (الجنـــد والشـــاكرية) وهـــو ديـــوان يـــنظم عمـــل الجنـــد و(الشـــاكرية) وهـــم الأتـــراك الـــذين ودخلـــوا الجـــيش في عهده.

رابعاً: النظام الاقتصادي

بلغـــت الدولـــة العربيـــة الإســـلامية منتهـــى الازدهـــار الاقتصـــادي فـــي عهـــد العباســـيين، وتجلّـــى ذلـــك فـــي الميـــدان الزراعي والصناعي والتجاري.

١. الزراعـــــة:

اتجـــه الاهتمـــام إلـــى الكســـب والزراعـــة تبعـــا لإمكانيـــات الأرض مـــن حيـــث المنـــاخ والتربـــة وفـــي المنـــاطق التـــي تتـــوافر فيهـــا الميـــاه، وحـــرص العباســـيون علـــى توســـيع التربـــة الزراعيـــة وصـــيانتها. فـــاهتموا بتنظـــيم الـــري فـــي الأراضـــي التـــي توجـــد بهـــا الأنهـــار الكبيـــرة مثـــل بـــلاد مـــا وراء النهـــر والعـــراق ومصـــر، فأسّســـوا شـــبكات القنـــوات، وبنـــوا السّـــدود فـــي أمـــاكن، واســـتعملوا النـــواعير الرافعـــة للمـــاء، وإلـــيهم يرجـــع الفضـــل فـــي إعمامهـــا بعـــد ذلـــك بـــالمغرب وأوروبـــا. وتعـــزز عملهـــم هـــذا بالبحـــث العلمـــي الخـــاص بالزراعـــة، حيـــث ظهـــرت لـــديهم تـــآليف عديـــدة فـــي الموضـــوع. وكانـــت الحبـــوب التقليديـــة تحتـــل أكبـــر المســـاحات وخاصـــة الحِنْطـــة والشـــعير لكـــنهم أدخلـــوا مزروعـــات جديـــدة مثـــل الأرز وقصـــب

السكر، وتوسعوا أيضا في زراعة النبات الصناعي كالقنّب والكتّان والقطن والبردي والسمسم، يضاف إلى ذلك مجموعة من النبات المستخدم في العطر أو الصباغة مثل البنفسج والورد والياسمين والنرجس والزعفران والنيلة والحناء... وكانت الخضروات تزرع على العموم في الحقول المحيطة بالمدن، وكان لهم الفضل في توسيع زراعة الأشجار التي كانت نادرة فيما قبل، ونقلها إلى أوروبا. وهكذا انتشرت لديهم زراعة التفاح والخوخ والكمثرى والرمان والسفرجل والليمون والبرتقال والزيتون والعنب إضافة إلى النخيل الذي ظل في المناطق الحارّة خاصة.

٢. الصناعة:

نشطت الصناعة بدورها في ميادين عدة. واهتم العباسيون، أوّلاً باستخراج المعادن: الأحجار الكريمة (إيران وجزيرة العرب)، الذهب (النوبة والسودان الغربي)، الفضة (ما وراء النهر وإفريقية)، الحديد، النحاس، الرصاص، الزنك، القصدير، الزئبق، في جهات مختلفة في بقاع الدولة العباسية. وعرفوا أيضا، الفحم الحجري والنّفط من غير أن يتوسعوا في استعمالهما، وازدهرت الصناعة في ميادين أخرى، فهناك صناعة الورق التي أخذها المسلمون عن الصينيين وعمّموها في مختلف الأقاليم، وكان لها فضل كبير على الحياة الثقافية.

وأدخلوا تطورات وتحسينات جديدة على صناعة الفولاذ والنحاس والزجاج والخزف والنسيج والجلد والعطر والصباغة والصابون. وكانت الدولة تشرف بنفسها على جملة من الصناعات المهمة مثل معامل الأسلحة، صناعة السفن الحربية، صناعة الأشغال العمومية، دور الطراز، وسكّ النقود. وقد كان معظم الصناع يتجمعون في سوق خاصة بهم (القيسارية). وقد اشتهرت أسواق الكرخ في بغداد، ولكل حرفة عريف يسهر على جودة الإنتاج، ومن فوقه المحتسب.

٣. التجـــــــارة:

كانت التجارة تلعب دورا رئيساً في الحياة الاقتصادية، حتى نعت المجتمع العباسي، في عهوده الأولى بأنه مجتمع تجاري. ولا شك أن الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي سهل عليه هذا الاتجاه.

فهو يقوم، في الوسط، بين أوروبا والشرق الأقصى، وبين أفريقيا في الجنوب والمناطق الشمالية في مختلف القارات. وهذا ما جعل التبادل التجاري يعرف لديه نشاطاً متزايداً، كما يدل على ذلك تعدد وتنوع الطرق التجارية التي كانت تتصل به أو تخترقه. فكانت هناك طرق بحرية:

-طريقان في البحر الهندي:

١) الأول يتجه إلى الصين منطلقا من البصرة ومارا على الهند والجزر الهندية.

٢) الثاني ينطلق من البصرة فيمر في شواطئ أفريقيا الشمالية ويصل إلى زنجبار ومدغشقر.

إضافة إلى طرق متعددة داخل البحر المتوسط للربط بين الأقطار الواقعة على ضفاف الحوض.

وكانت هناك طرق نهرية في الأنهار الكبرى مثل دجلة والفرات تمخرها أنواع خاصة من السفن لنقل الركاب والبضائع. ولذلك وجد أسطول بحري مهم في هذا العهد.

وكان لهذه التجارة، طرق برية كثيرة أهمها:

- الطريق الرابط بين العراق والصين عبر إيران وخراسان وما وراء النهر، وهو المعروف بطريق الحرير.
- الطريق الرابط بين الدولة الإسلامية وبلاد الفولجا (في روسيا) عبر خوارزم.
- الطريق الرابط بين الشرق والغرب عبر السودان والصحراء.

هذا إضافة إلى طرق داخلية عديدة. أما عن بضاعة التبادل، فكانت أهم الواردات هي: الأحجار الكريمة والتوابل والعطور وعود البخور والخزف والحديد والقصدير والأرز والشمع والفَرْو والعاج والرقيق. في حين كانت أهم الصادرات هي المرجان والزيت والتمر والملح واللؤلؤ والأقمشة ومصنوعات المعدن والزجاج.

موازنـــــة بيت المـــال:

- الـواردات وأهمهـا: الفـيء وهـو كـل مـا وصـل مـن المشـركين عفـواً بـلا قتـال، والخـراج وهـو: خـراج الأرض، والجزيـة وهـي الأمـوال المـأخوذة مـن أهـل الذمـة، والزكـاة، والعشـور وهـي الضـريبة المفروضـة علـى المـواد التجاريـة الصـادرة والـواردة إلـى الدولة الإسلامية، والمواريث وريع المنشآت العامة.

- المصـروفات وأوجههـا: وأهمهـا العطـاء والأرزاق (لكبـار مـوظفي الدولـة، والجنـد ...) والنفقـة علـى المنشـآت والخـدمات العامة، والنفقات العسكرية والخدمات السرية.

بيت مال الخاصة نشأته وتطوره:

هـو بيـت مـال الخليفـة، وكـان يشـكل مؤسسـة مسـتقلة بـذاتها، لهـا مواردهـا ومصـروفاتها، إضـافة إلـى أنهـا الخزينـة الاحتياطيـة للدولـة التـي يعتمـد عليهـا فـي حـالات الطـوارئ والعجـز المـالي، ويبـدو أن تسـمية – بيـت مـال الخاصـة– اسـتعملت فـي العصـر العباسـي فـي عهـد الخليفـة هـارون الرشـيد، إلا أن إنشـاء أول مركـز لحفـظ أمـوال الخليفـة الخاصـة، حـدث فـي عهـد الخليفـة المعتضـد"، الـذي بنـى لـه قلعـة مـلأ دعاماتهـا بالرصـاص المـذاب وسـميت (بيـت مـال الخاصـة). وكانـت الغايـة مـن تأسـيس بيـت مـال الخاصـة هـي المحافظـة علـى أمـوال الخليفة، ولهذا فُصلت عن المالية العامة .

خامساً: الحجـــــــــابة

معنـــى الحجابـــة: نعنـــي بالحجابـــة حجـــب الخليفـــة عـــن الرعيـــة وهـــي مـــن الجـــذر حجـــب وتعنـــي ســـتر وغطـــى وحمـــى وهـــي وظيفـــة إداريـــة وضـــعت لحمايـــة الخليفـــة مـــن القتـــل والاغتيـــالات لتكرارهـــا وكثرتهـــا فـــي العصـــر الراشـــدي ومحاولـــة اغتيـــال معاويـــة بـــن أبـــي ســـفيان وعمـــرو بـــن العـــاص علـــى يـــد الخـــوارج ونجـــاحهم فـــي اغتيـــال الخليفـــة علـــي بـــن أبـــي طالـــب، مـــا دفـــع معاويـــة بـــن أبـــي ســـفيان إلـــى اســـتحداث وظيفـــة الحاجـــب فـــي الدولـــة الاســـلامية فكانـــت مهمتـــه حراســـة الخليفـــة ومـــن ثـــم أ صـــبح يقـــف علـــى بـــاب الخليفـــة لترتيـــب مقـــابلات الخليفـــة مراعيـــا المركـــز الاجتمـــاعي لكـــل من يريد الدخول للخليفة.

الحجابة في العصر العباسي: -

انتهج الخلفاء العباسيون النهج نفسه الذي انتهجه الخلفاء الأمويون من قبلهم فاتخذوا الحاجب وزادوا في منع الناس من ملاقاة الخليفة إلا في الأمور المهمة، ومن أهم التطورات التي طرأت على وظيفة الحاجب في العصر العباسي ظهور ما يسمى بالحاجب الثاني إذ أصبح للخليفة داران:

أ-دار الخاصة: حيث يستقبل فيها أقرباءه ورجال دولته.

ب- دار العامة: حيث يستقبل فيها طبقة العامة والتي تضم أصحاب الحرف والصناعات والتجارة والأدباء.

وعند ضعف الدولة العباسية في العصر العباسي الثاني ظهرت وظيفة الحاجب الثالث وكانت وظيفته الحجر على صاحب الدولة (الخليفة) وحجب الحاشية عن الخليفة وحجبه عنهم.

علت مرتبة الحاجب أيام العباسيين فأصبح يُستشار في كثير من أمور الدولة. ومن أبرز الحجاب في العصر العباسي الأول، (الفضل بن الربيع) الذي أوقع بالبرامكة عند الرشيد، فكانت نهايتهم. أما في العصر العباسي الثاني فكثيرا ما كان الحاجب يتدخل في أمور الدولة ويستبد بالنفوذ دون

الـــوزير ويلـــزم أصـــحاب الـــدواوين بـــالرجوع إليـــه فـــي كـــل أمـــور الدولة.

صفـــــــــات الحاجب:

اهـــتم الخلفـــاء الأمويـــون وكـــذلك العباســـيون بـــأن تتـــوفر بالحاجـــب صفات مهمة منها:

١) يجـــب أن يكـــون بشـــوش الوجـــه وذلـــك ليســـتقبل النـــاس بهـــذه الحال.

٢) ذكيـــاً بحيـــث يســـتطيع التمييـــز بـــين النـــاس وكيفيـــة ترتيـــب دخولهم.

٣) قويـــاً وجريئـــاً وذلـــك ليقـــوم بحمايـــة الخليفـــة مـــن الاغتيـــالات السياسية والأهم أن يكون شديد الانتباه لكل صغيرة وكبيرة.

٤) لبقـــاً لا يتلكـــأ (أي كثيـــر العيـــاء والمـــرض) حتـــى لا يقصـــر فـــي القيام بواجبه.

سادساً: الشرطـــــــــة

تُعَـــدُّ الشـــرطة مـــن الوظـــائف المهمَّـــة فـــي الدولـــة الإســـلامية، ومـــن أبـــرز معالمهـــا فـــي حيـــاة المجتمـــع والنـــاس، وتتمثـــل فـــي الجنـــد الـــذين يُعتمـــد علـــيهم فـــي حفـــظ الأمـــن والنظـــام، وتنفيـــذ أوامـــر القضـــاء بمـــا يكفـــل ســـلامة النـــاس، وأمـــنهم علـــى أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم، فهي بمنزلة جيش الأمن الداخلي

الشرطة في العصرين الراشدي والأموي:

يمكن القول بأن الشرطة قد بدأت بسيطة في عهد الخلفاء الراشدين، ثم أخذت تتطوَّر ويزداد تنظيمها في العصرين الأموي والعباسي، فصار لكل مدينة من المدن شرطة خاصَّة بها، تخضع لرئيس مباشر هو صاحب الشرطة، الذي كان له نوَّاب ومساعدون يتَّخِذُون لأنفسهم علامات خاصة، ويلبسون زيًّا خاصّاً.

كما اهتمت الدولة العربية الإسلامية بتأسيس السجون، ووضع المجرمين وقادة الفتن والثورات فيها.

الشرطة في العصر العباسي:

وقد أنفقت الدولة على بناء السجون من بيت المال؛ إذ كَفَّت هذه السجون شرَّ السجناء وأذاهم عن الناس، ولم يمنع هذا الأمر أن تُنْفِق الدولة على هؤلاء المساجين، وترعى أحوالهم.

وحرصت الخلافة العباسية على تعيين أصحاب الشرطة من الموسومين بالعلم والتقوى والفقه، والذين لا تأخذهم في إقامة الحدود لومة لائم، كما حرصت على اختيار الاذكياء والنابهين وليس فقط أصحاب القوة والبأس وفي نفس لم تتوانَ مؤسسة الخلافة في عزل أصحاب الشرطة الفاسدين، الذين كانوا يتجاوزون في العقوبة، ولا يأخذون بالبينة.

وكانت مهمة صاحب الشرطة في هذا العصر متعدِّدة ومتنوِّعة، فقد جمع أصحاب الشرطة في معظم الولايات الإسلامية مع وظيفة استتباب الأمن، والأخذ على أيدي اللصوص والمفسدين، المحافظةَ على الآداب العامة والنيابة عن الوالي في الصلاة وفي توزيع الأعطيات وفي غير ذلك من الاعمال.

سابعاً: نظام القضـــــاء

توسَّعت الدولة الإسلامية توسُّعًا كبيرًا خلال القرون الأولى من الهجرة، ونظرًا لتداخل الأجناس والأعراق المتباينة داخل إطار الحضارة الإسلامية، كان مما لا بُدَّ منه وجود مؤسسة قضاء ثابتة، لها ما يميزها وما ينظمها داخل الدولة الإسلامية، ومن ثَمَّ بدأت هذه المؤسسة في التشكُّل والظهور.

في صدر الإسلام كان الرسول (ρ) هو الذي يتولَّى الفصل في المنازعات، ومن بعده كان الخلفاء الراشدون يُبَاشِرُونَ القضاء بأنفسهم، وعندما اتَّسَعَتِ الدولة الإسلامية، واختلط المسلمون بغيرهم، وكثرت مهامُّ الخليفة؛ عينت الدولة قضاة مستقِلِّينَ ينوبون عن الخليفة في الفصل بين الخصومات.

القضاء في العصر العباسي:

ففي العصر العباسي بلغ التنظيم الإداري للقضاء غايته القصوى، وظهرت فيه تنظيمات كثيرة، وتنبَّه الخلفاء العباسيون لأهمية القضاء منذ قيام دولتهم، فأصلحوا ما اعتراه من ضعف وتراخ في آخر الخلافة الأموية، ولقد كان الخليفة أبو جعفر المنصور– الذي يُعَدُّ المؤسس الحقيقي للخلافة العباسية– يرى أن القاضي إحدى الدعائم الأربع التي لا تصلح الدولة إلا به.

ومع كثرة ولايات الخلافة؛ فقد صار تعيين قضاة الأمصار تبعًا لما يراه ولاة هذه الأمصار، إلا أن هناك منصبًا قد استجدَّ في ظلِّ الخلافة العباسية، قد تمثَّل في تعيين قاضٍ للقضاة، فمع أنه قاضي العاصمة بغداد، إلا أن الخلافة قد أعطت له الحق في تعيين قضاة الأمصار، ومتابعتهم ومراقبتهم والإشراف عليهم وعزلهم؛ ولذلك بلغت مؤسسة القضاء ذروة الاستقلالية التامَّة في ظلِّ الخلافة العباسية، وأول مَن كان له الحق في تعيين قضاة الأمصار ومتابعتهم في الخلافة العباسية القاضي الشهير أَبو يوسف، قاضي الخليفة العباسي هارون الرشيد ووزيره، حيث كان له الحق في تعيين قضاة كل من العراق وخراسان ومصر والشام.

ونتيجة لتوسُّع مؤسسة القضاء؛ فقد وظَّفت الخلافة العباسية أعوانًا للقاضي – سواء قاضي القضاة أم قضاة الأقاليم– يُساعدونه في إتمام القضاء، والفصل في الدعاوى على أحسن وجه، ومنهم: نائب القاضي ، وكاتب القاضي أو كاتب المحكمة والمنادي، والحرس وغيرهم.

ثامناً: الحســـــبة

نشـأت وظيفـة الحسـبة إلـى جانـب وظيفـة القاضـي؛ نتيجـة تغيـر ظـروف الحيـاة فـي الخلافـة الإسـلامية، وهـي وظيفـة دينيـة مـن بـاب الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر، الـذي هـو فـرض علـى القـائم بـأمور المسلمين، يُعَيِّنُ لذلك مَنْ يراه أهلاً له، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٤

وظـل نظـام المراقبـة والحسـبة موجـودًا طـوال العهـد الراشـدي والأمـوي، وإن لـم يحمـل صـاحبه لقـب المحتسـب؛ إذ عُرِف هذا المسمَّى في العصر العباسي.

الحسبة في العصر العباســـــــي:

ومنـذ العصـر العباسـي بـدأت وظيفـة المحتسـب تأخـذ شـكلاً مغـايرًا، فأصـبحت معروفـة بـين النـاس منـذ عهـد الخليفـة العباسـي أبـي جعفـر المنصـور؛ ولـذلك فتيسـيرًا علـى المحتسـبين، وتنظيمًـا للمجتمـع؛ نقـل المنصـور أسـواق بغـداد والمدينـةِ الشـرقية إلـى منـاطق أخـرى متخصصـة، وبعيـدة عـن مركـز المَدِينـةِ ودواوينهـا، فنقـل الأسـواق إلـى بـاب الكَـرْخ وبـاب الشـعير، وعَـيَّن لها محتسبِينَ؛ يُراقبون شؤونها، ويضبطون مخالفاته.

وقـد تطـورت وظيفـة المحتسـب فـي ظـلِّ الخلافـة العباسـية مـن مراقبـة المكاييـل والمـوازين، ومنـع الاحتكـار، والأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر، إلـى الإشـراف علـى نظافـة

الأسواق والمساجد، ومراقبة الموظفين للتقيد بالأعمال، حتى مراقبة المؤذِّن للتَّقَيُّد بأوقات الصلاة، وامتدَّت سلطة المحتسب كذلك إلى مراقبة القضاة إذا تأخَّروا عن أعمالهم، أو انقطعوا عن الجلوس عن الحكم، و أن المحتسب كان له الحق في امتحان واختيار ذوي المهن والحرف؛ لمعرفة مدى إتقانهم للمهنة والحرفة؛ حتى لا يستغلُّوا الآخرين .

النظر في المظالم:

مما لا شكَّ فيه أن أول من طَبَّق النظر في المظالم، هو النبي (صلى الله عليه وسلم)، لكنه لم يكن بشكله الذي كان عليه في الخلافة الأموية بعد ذلك، وكان ذلك طبيعيًّا؛ إذ لم يكن في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما يستدعي وجود ولاية المظالم إلا في حالات قليلة جدًّا.

وقد أعلن الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه) عن عزمه للقيام بقضاء المظالم؛ لرفع الظلم، وإقامة العدل والحق، وكان ذلك في أول خطبة خطبها (رضي الله عنه)، فقال: " أمَّا بعد؛ أيها الناس، فإنِّي قد وُلِّيت عليكم ولستُ بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني؛ وإن أسأت فقوِّموني؛ الصدق أمانةٌ، والكذب خيانةٌ، والضَّعيف فيكم قويٌ عندي حتى أريح عليه حقَّه إن شاء الله، والقويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذ الحقَّ منه".

وبدأ قضاء المظالم يأخذ في التدرج منذ الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فقد كان يجمع ولاته وأمراءه كل عام في موسم الحج، ويستمع إلى شكاوى الناس، ويقتصُّ من المسيء من هؤلاء الولاة والأمراء، بل أقر عمر (رضي الله عنه) مبدأ مهمًّا في محاسبة الولاة والعمال، هذا المبدأ هو ما نسميه اليوم "إساءة استعمال النفوذ"، وقد ظهر جليًّا مع والي مصر عمرو بن العاص(رضي الله عنه) وأحد أبنائه، الذي لطم مصريًّا سبقه في سباق كان بينهما .

وفي عهد الخلافة الأموية كان عبد الملك بن مروان أشهر من جلس لهذه الولاية، وتوسَّعت ولاية المظالم في عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

النظر في المظالم في العصر العباسي:

وأما في العصر العباسي، فقد تَطَوَّر النظر في المظالم حتى أخذ شكلاً ناضجًا جدًّا ، فأصبح له ديوان مستقلٌّ، أي ما يُعادل وزارة مختصَّة في زماننا الآن، وقد ترك لنا الماوردي صاحب كتاب " الاحكام السلطانية" صورة رائعة عن الأصناف التي تقوم بهذا الديوان، وهم:

- الحماة والأعوان؛ لجذب القوي، وتقويم الجريء، فالحماة هم كبار القواد، والأعوان هم الشرطة القضائية.

- القضاة والحكام؛ لاستعلام ما يثبت عندهم من الحقوق، وبهذا استدركوا النقص الذي يمكن أن يكون في والي المظالم من حيث معرفته بالقضاء وبالأصول القضائية.
- الفقهاء؛ ليُرجع إليهم فيما أَشْكل، ويُسألون عما اشتبه، وبهذا أكملوا نقص العلم المحتمل.
- الكُتَّاب؛ ليُثبتوا ما جرى بين الخصوم، وما توجَّب لهم أو عليهم من حقوق.
- الشهود؛ ليُشهدهم على ما أوجبه من حق، وأمضاه من حكم، وهؤلاء يُشبهون "النيابة العامة

وقد كان من حق الرعية أن تتظلم من الخليفة نفسه، وهذا من أعظم المحاكمات التي رأيناها في تاريخ الحضارة الإسلامية.

لقد كانت الحضارة الإسلامية تُعنى بجميع الأفراد، ولم تُفرِّق المؤسسة القضائية الإسلامية بين الرعايا على أساس الدين أو الجنس أو المكانة الاجتماعية، كما كان عند الرومان والفرس، أو حتى عند العرب أنفسهم قبل الإسلام، ولأن خليفة المسلمين يخضع لقرار المؤسسة القضائية، ويُنفِّذ هذا القرار لرجل من عامة المسلمين- قد لا يكون صاحب منصب أو قبيلة تسانده، أو مال يتزلَّف به – لَيُؤَكِّد على رقي الحضارة الإسلامية، ويُعمِّق عندنا أن هذه الحضارة كانت تحترم مواطنيها، وتقف بجوار الضعيف والمظلوم منهم.

وقد كان الخليفة العباسي المأمون يُخَصِّصُ يوم الأحد من كل أسبوع للنظر في المظالم.

تاسعاً: الحياة الاجتماعية

كانت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي بشكل عام حياة ترف ونعيم وخاصةً لطبقة الحكام والخلفاء فقد توافرت لهم وسائل الترفيه والمتعة والترف. فكانوا يجزلون العطاء للعلماء والأدباء مما ساعد على ازدهار الحركة العلمية آنذاك.

وكذلك زاولوا وسائل عديدةً ترفيهية مثل سباق الخيل، وسباق الحمام الزاجل، ولعبة الصولجان، والشطرنج، والنرد، وصيد الغزلان والطيور.

أما طبقة العامة فقد عاشت هذه الطبقة على حياة البؤس والشقاء وتحمُّل أعباء الحياة البائسة.

أما حياتهم الترفيهية فكانت قائمة على الاستماع إلى القصص والحكايات الشعبية وتداول الأساطير والأخبار، وقد تولدت من هذه المجالس الحكايات المشهورة والسير الشعبية.

أهم المظاهر التي برزت في العصر العباسي:

١-ظهور طبقتين متغايرتين في المجتمع: طبقة تنعم بالرخاء وسعة العيش، وأخرى تجد صعوبة في العيش.

٢-ازدياد حركة العمران، كبناء القصور الفاخرة، والمساجد الفخمة، وتزيين العاصمة بزينة لا مثيل لها.

٣- ازدهار فن الغناء، وكثرة الموسيقيين، وتطور آلاتهم وألحانهم.

عاشراً: الحركة العلمية

شهدت الحياة الفكرية في العصر العباسي ازدهارا كبيرا في شتى الميادين، يعود سببه إلى ظهور الكثير من العلماء والمفكرين في مختلف العلوم وانتشار حركة الترجمة واهتمام الخلفاء بها، إضافة إلى التوسع في التعليم العام وبناء المدارس والمؤسسات الثقافية مثل دور العلم والربط فضلا عن المساجد.

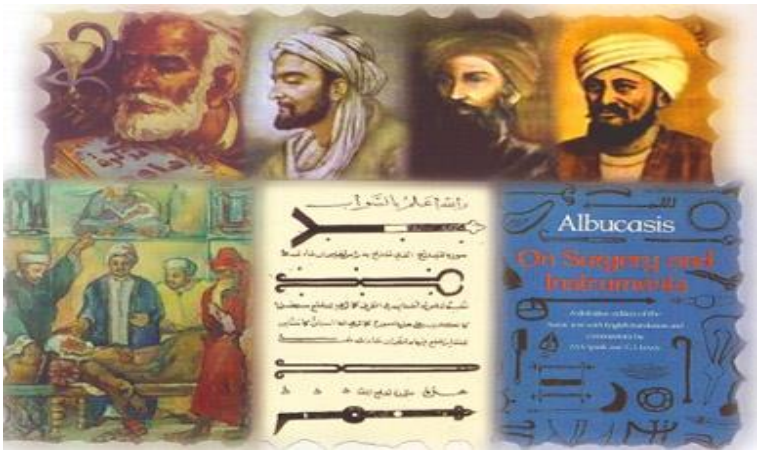

أهم العلوم والآداب في العصر العباسي:

١- علوم اللغة:

*اهم المؤلفات فيها:

"*مقدمة في النحو" لابن فارس ت (٣٩٦هـ)

"*الموازنة" لحمزة الأصفهاني بين(٣٥٠هـ و ٣٦٠هـ)

"*معجم الصحاح" للجوهري (ت٣٩٢هـ)

*دراسة في الاشتقاق اللغوي لابن جني (ت٣٩٢هـ)

٢-الآداب:

* النثر: تراجع الخطابة في الجيوش بعد أن انقضى عهد الفتوح. وصار الكثير من الجنود من الجيش الإسلامي من الأعاجم، الفرس او الروم.

* ظهور فن المقامات الذي يغلب عليه التأنق اللفظي والتزيين البديعي.

* اشتداد الحوار والتناظر، ولاسيما ما دار بصدد قضايا مهمة كالشعوبية والزندقة خاصة بين الخوارزمي وبديع الزمان.

* اهتمام الأدباء بالحياة العامة ووصف حياة المدن.

وتميز الشعر بما يأتي:

-التجديد في تناول الموضوعات الموروثة مثل المدح والفخر والهجاء والغزل والرثاء، وذلك بإضفاء صبغة جديدة عليها

-المزاوجة بين بساطة البداوة، وثقافة العصر العقلية "، على يد المتنبي.

-ترسيخ مكانة بعض الموضوعات القريبة النشأة مثل شعر الزهد والتصوف.

-وصف الشعراء لأبسط مظاهر الحياة اليومية

-تزايد أهمية الشعر الشعبي الذي لا يخضع للضوابط المعروفة وأبرز شعرائه ابن الحجاج (ت٣٩١هـ).

٣-التاريخ والجغرافيا

عرف العرب النقد التاريخي وظهر لديهم الكثير من المؤرخين المشهورين كالطبري الذي توفي سنة ٣١٠ هـ والذي يعتبر أشهر مؤرخي الحقبة ومن أشهر كتبه "جامع بيان التفسير" وكتاب" تاريخ الرسل والملوك" إضافة الى ابن مسكويه "تجارب الأمم" والتنوخي "جامع التواريخ "

* برز مجموعة من الجغرافيين أمثال الهمداني (ت٣٣٤هـ) الذي وصف جزيرة العرب وصف عالم لغة ،واليعقوبي أول واصفي الممالك من العرب في "البلدان "،إضافة إلى أبي دلف وحكاية رحلته إلى بلاد آسيا.

٤-الطب والصيدلة

من بين المجالات العلمية التي بزغت إبان العصر العباسي علما الطب والصيدلة، ويرجع ذلك إلى الترجمة التي بلغت في العصر العباسي شأنًا عظيماً منذ خلافة أبي جعفر المنصور الذي كلف "جورجيس بن بختيشوع النسطوري"

بتعريب كتب كثيرة في الطب عن الفارسية، وتوارثت أسرته بعد ذلك الترجمة والتأليف والتدريس.

ويعتبر عهد الخليفة المأمون العصر الذهبي لازدهار حركة الترجمة والإنفاق عليها بسخاء، وقد برز في مجال الترجمة والتأليف "أبو يعقوب يوحنا بن ماسويه" الطبيب المسيحي الدمشقي، الذي عهد إليه الرشيد بترجمة الكثير من كتب الأطباء والحكماء مثل: "أبقراط"، و"جالينوس"، وغيرهما وخلف "يوحنا" تلميذه حنين بن إسحاق العبادي الملقب بشيخ تراجمة العصر العباسي. ولم يقتصر تأثير حركة الترجمة العلمية على إثراء المكتبات والمدارس بتراث القدماء، ولكن التأثير ظهر في صورة أهم من ذلك، وهي استيعاب القديم، والانطلاق بخطى سريعة إلى عهد جديد في التأليف الطبي.

وبلغ التأليف بعد ذلك قمته بفضل عدد كبير من البارزين في علوم الطب تميزوا بغزارة إنتاجهم، وعظمة ابتكاراتهم، وسلامة منهجهم وتفكيرهم ومن أشهر هؤلاء: جالينوس العرب أبو بكر الرازي، وعميد الجراحة العربية أبو القاسم الزهراوي، والشيخ الرئيس ابن سينا الملقب بالشيخ الرئيس، ونابغة عصره في الطب ابن النفيس وابن الجزار القيرواني. لقد قدم هؤلاء الرواد مع غيرهم خدمات جليلة للحضارة الإنسانية تتمثل في مؤلفاتهم القيمة التي نهلت منها

أوروبا في القرون الوسطى وظل معظمها يدرس في الجامعات الأوربية حقباً طويلة.

- **الرازي:** اشتهر في الطب والكيمياء وجمع بينهما وبلغت مؤلفاته الطبية (٥٦) كتابًا أشهرها: كتاب "الحاوي" ويقع في عشرة أجزاء يختص كل منها بطب عضو أو أكثر. وكتاب "المنصوري" وهو عشرة مقالات في تشريح أعضاء الجسم كلها أهداها الرازي إلى المنصور بن إسحاق حوالي عام(٢٩٣هـ). ورسالة "الجدري والحصبة"، أول بحث في تاريخ الأمراض الوبائية. وكتاب "الحصى في الكلى والمثانة." وباقي كتب الرازي لا تقل أهمية عن كتبه المذكورة فقد اشتملت على موضوعات جديدة تشهد بعبقرية الرازي وإجادته وأمانته وأصالة منهجه العلمي في التأليف.
- **الزهراوي:** أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي هو فخر الجراحة العربية، ويعتبر كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف" أكبر مؤلفاته وأشهرها؛ فهو موسوعة طبية تقع في ثلاثين جزءًا ومزودة بأكثر من مائتي شكل للأدوات والآلات الجراحية التي كان يستخدمها الزهراوي ومعظمها من ابتكاره، ولقد حظي هذا الكتاب باهتمام كبير لدى أطباء أوروبا وترجم إلى اللاتينية.

- **ابـــن ســـينا:** أبـــو علـــى الحســـين بـــن عبـــد الله بـــن ســـينا وهـــو الملقـــب بالشـــيخ الـــرئيس، ومؤلفاتـــه تمتـــاز بالدقـــة والتعمـــق والسلاســـة وحســـن الترتيـــب، وهـــي كثيـــرة أشـــهرها كتـــاب القـــانون فـــي الطـــب الـــذي فضـــله العـــرب علـــى مـــا ســـبقه مـــن مؤلفاتـــه لأنـــه يجمـــع بـــين خلاصـــة الفكـــر اليونـــاني، ويمثـــل غايـــة مـــا وصـــلت إليـــه الحضـــارة العربيـــة الإســـلامية فـــي مجـــال الطـــب. ويقـــع الكتـــاب فـــي خمســـة أجـــزاء تتنـــاول علـــوم التشـــريح، ووظـــائف الأعضـــاء، وطبـــائع الأمـــراض، والصـــحة، والعـــلاج. وكتـــب ابـــن ســـينا فـــي الطـــب ظلـــت المرجـــع العـــالمي عـــدة قـــرون، واعتمـــدتها جامعـــات فرنســـا وإيطاليـــا وبلجيكـــا أساسًـــا للتعلـــيم حتـــى أواخـــر القـــرن الثـــامن عشر.

الطب والصيدلة

الترجمة

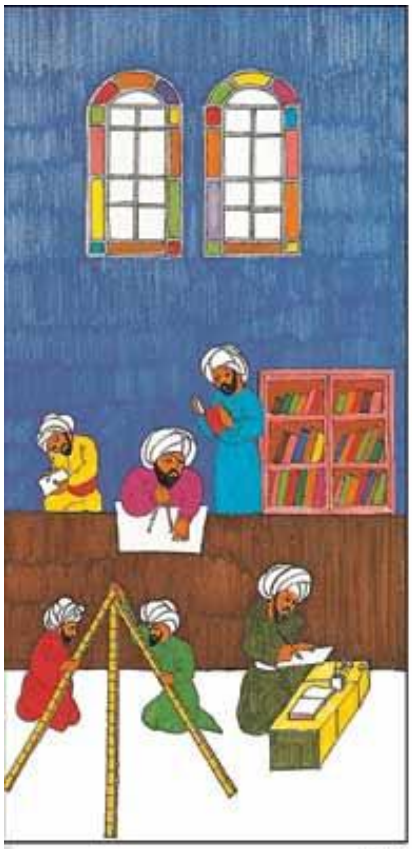

الهندسة

أسئلة الفصل الخامس

س١/ عرف ما يأتي:

١. نظام الخلافة ٢. الصوافي

٣. الضياع ٤. الجهبذة

س٢/ املأ الفراغات الآتية بما يناسبها:

١. ورث العباسيون نظام الدواوين عن .....، وأضاف المنصور ديوان .....

٢. الطريق التجاري البري الرابط بين العراق والصين يمر عبر.....

٣. الطريق الرابط بين الشرق والغرب يمر عبر .....

س٣/ اختر الإجابة الصحيحة فيما يأتي:

١. يجوز لوزير التفويض النظر في:

–المظالم – عزل الولاة – اقالة الوزير

٢. المقصود بالفيء:

- خراج الأرض – الجزية – أموال المشركين بلا قتال

٣. من القضاة المشهورين في العصر العباسي:

- أبو حنيفة – أبو يوسف – الامام زفر

س٤/ أجب عما يأتي:

١. أصبحت الوزارة مؤسسة مركزية في الدولة تحدث عن تطورها وانواعها بإيجاز.

٢. اهتم العباسيون باستخراج المعادن ضمن النشاط الصناعي، اذكر من اين تستخرج الأحجار الكريمة والذهب والفضة.

٣. اذكر اهم صفات الحاجب.

٤. ما الفرق في نظام الشرطة بين العصور:

الراشدي، الاموي، العباسي؟

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول :العباسيون نسبهم واسرتهم،ونشأة الدعوة لخلافتهم	٤-٢٤
الفصل الثاني :نماذج من خلفاء بني العباس (١٣٢-٦٥٦هـ)	٢٥-٥٥
الفصل الثالث :الدول المستقلة عن الخلافة العباسية	٥٦-٨٤
الفصل الرابع :أشهر الحركات الدينيةوالسياسية التي قامت بوجه الدولة العباسية	٨٥-٩٩
الفصل الخامس : النظم الحضارية في العصر العباسي	١٠٠-١٣٤